التوحيد



تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية - العدد ٥٣٨ السنة الخامسة والأربعون - شوال ١٤٣٧ هـ
الثمن جنيهان

صيام ست من شوال وتمام الدهر





عيد الفطر بين وداع المقبولين وخسارة المفرطين

حماية أبناء الموحدين



- صلاة العيد .. آداب وأحكام
- أحوال الناس بعد رمضان
- دعوة للتغيير ومن المِحَن تأتي المِنَح

بسم الله الرحمن الرحيم

فاعلم أنه لا إله إلا الله

صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. عبد العظيم بدوي

اللجنة العلمية
جمال عبد الرحمن
معاوية محمد هيكل
د. مرزوق محمد مرزوق
محمد عبد العزيز السيد

رئيس مجلس الإدارة
د. عبد الله شاكر الجنيدي

التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢

البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM
رئيس التحرير:
GSHATEM@HOTMAIL.COM

قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧
ISHTRAK.TAWHEED@YAHOO.COM

المركز العام:
هاتف: ٢٣٩١٥٥٧٦-٢٣٩١٥٤٥٦
WWW.ANSARALSONNA.COM

تنويه

إلى الإخوة مشتركي مجلة التوحيد بمصر: برجاء مراجعة مكتب البريد التابع لكم، والاتصال بقسم الاشتراكات في حالة عدم وصول المجلة، والإبلاغ عن اسم مكتب البريد التابع له المشترك؛ للتواصل مع المسئولين في هيئة البريد، وبحث الشكوى؛ لضمان وصول المجلة للمشترك في موعدها

والله الموفق

السلام عليكم

الحصن الحصين

كان الصوم لك جُنة ووقاية، وحِصنًا حصينًا من شياطين الإنس والجن، فهل تأمن على نفسك بقية العام بلا حصن ولا عُدة؟ فالصوم باقٍ بقاء العام، فَطِب نفسًا بمواسم الصيام، وقاوم الشيطان طوال العام.

فلو أخلصت النية في ذلك حفظك الله منه.

حكي عن بعض السلف أنه قال لتلميذه: ما تصنع بالشيطان إذا سَوَّل لك الخطايا؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: فإن عاد؟ قال: أجاهده. قال: هذا يطول. أرأيت إن مررت بغنم فنبحك كلبها أو منعك من العبور ما تصنع؟ قال: أكابده وأرده جهدي. قال: هذا يطول عليك، ولكن استعن بصاحب الغنم يكفه عنك، فاستعن بالله ولا تعجز.

التحرير

رئيس التحرير:

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني:

حسين عطا القراط

سكرتير التحرير:

مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:

أحمد رجب محمد

محمد محمود فتحي

في هذا العدد

افتتاحية العدد: الرئيس العام	٢
كلمة التحرير: رئيس التحرير	٥
باب التفسير: د. عبد العظيم بدوي	٩
صلاة العيد آداب وأحكام: محمد عبد العزيز	١٣
باب السنة: د. مرزوق محمد مرزوق	١٧
درر البحار: علي حشيش	٢١
منبر الحرمين: د. سعود الشريم	٢٣
التعصب وأثره السيئ على الأمة: د. عماد عيسى	٢٦
الإحسان إلى اليتيم: صلاح عبد الخالق	٣٠
حماية أبناء الموحدين: الشيخ صفوت نور الدين	٣٣
واحة التوحيد: علاء خضر	٣٦
صيام ستٍ من شوال: المستشار أحمد السيد علي إبراهيم	٣٨
باب الفتاوى	٤٢
دراسات قرآنية: مصطفى البصراتي	٤٤
باب الفقه: د. حمدي طه	٤٦
باب السيرة: جمال عبد الرحمن	٥٠
تحذير الداعية من القصص الواهية: علي حشيش	٥٣
دعوة للتغيير ومن المحن تأتي المنح: د. محمد عبد العليم الدسوقي	٥٧
وسائل الخشوع في الصلاة: صلاح نجيب الدق	٦١
القرآن لكل الدهور: الشيخ محمد البشير الإبراهيمي	٦٥
أسباب النصر والنجاة: عبد الرزاق السيد عيد	٦٩



ثمن النسخة

مصر ٢٠٠ قرش ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي ، الأردن ٥٠٠ فلس، قطر٦ ريالات ، عمان نصف ريال عماني ، أمريكا دولاران ، أوروبا ٢ يورو

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٤٠ جنيهاً بحوالة فورية باسم مجلة التوحيد . على مكتب بريد عابدين ، مع إرسال صورة الحوالة الفورية على فاكس مجلة التوحيد ومرفق بها الاسم والعنوان ورقم التليفون.

٢- في الخارج ٢٥ دولاراً أو ١٠٠ ريال سعودى أو مايعادلهما.

ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة . باسم مجلة التوحيد . أنصار السنة حساب رقم / ١٩١٥٩٠

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

٨٨٠ جنيه ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن .

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

طوبى لمن استقام على الطاعة ولزم العبادة

بقلم/ الرئيس العام
د/ عبدالله شاكر الجنيدي
www.sonna_banha.com

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهديهم إلى يوم الدين، وبعدُ:

فالله تبارك وتعالى خلق الخلق ليعبدوه وحده، كما قال الله تعالى: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات:٥٦)، وقد شرع الله لهم من الطاعات ومواسم الخيرات ما يتقربون بها إليه، وقبل ساعات ودعنا شهر رمضان الذي أقبل فيه الكثيرون على الله، فصلوا وصاموا، وقاموا وتصدقوا، وغير ذلك من أعمال البر التي تقع في هذا الشهر، غير أن بعض الناس يتغير حاله بعد رمضان، وكأنه يعبد ربًّا خاصًّا بهذا الشهر، فإذا ما انتهى من صيامه وقيامه عاد إلى لهوه وعصيانه، ودأب الصالحين هو المحافظة على الطاعات، والمداومة والمسارعة في فعل الخيرات، والمداومة على الأعمال بالتوسط والاعتدال.

فهم وسط بين طرفين ذميمين؛ أحدهما: في جانب التفريط، وذلك يكون بالعجز والكسل، وترك القيام بالعمل، والثاني: في جانب الإفراط، ويكون ذلك بالمشقة على النفس، وبذل ما هو أكثر من طاقة الإنسان في العبادات، ومن هنا دعا الإسلام إلى المداومة على العمل ولو كان قليلاً، لتكون النفس على صلة بالله دائمة، وأنشط في الإقبال على الله جلَّ في علاه، والقليل الدائم خير من الكثير المنقطع، وأحب الأعمال إلى الله أدومها وإن قل، كما في حديث عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سُئل: أيُّ العمل أحب إلى الله؟ قال: «أدومه وإن قل». (مسند أحمد: ١٧٦/٦).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحافظ على الأعمال الصالحة ويداوم عليها ولا يتركها، ولنا فيه الأسوة الحسنة، قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله إذا عمل عملاً أثبته، وكان إذا نام من الليل أو مرض، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قام

ليلة حتى الصباح، وما صام شهرًا متتابعًا إلا رمضان». (مسلم: ٧٤٦).

ومعنى أثبته: أي جعله ثابتًا غير متروك، وعن مسروق قال: سألت عائشة رضي الله عنها عن عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: «كان يحب الدائم». قال النووي في شرحه: «فيه الحث على القصد في العبادة، وأنه ينبغي للإنسان ألا يحتمل من العبادة إلا ما يطيق الدوام عليه، ثم يحافظ عليه». (شرح النووي على صحيح مسلم٦/٢٣).

وقد عقد الإمام مسلم في صحيحه بابًا قال فيه: «باب فضيلة العمل الدائم من قيام الليل وغيره»، ثم ساق تحته حديث عائشة وفيه تقول: « عَنْ عَائِشَةَ أَنَّهَا قَالَتْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم حَصِيرٌ، وَكَانَ يُحَجِّرُهُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُصَلِّي فِيهِ فَجَعَلَ النَّاسُ يُصَلُّونَ بِصَلاَتِهِ وَيَبْسُطُهُ بِالنَّهَارِ فَثَابُوا ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَقَالَ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَيْكُمْ مِنَ الأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ، فَإِنَّ اللهَ لاَ يَمَلُّ حَتَّى تَمَلُّوا، وَإِنَّ أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ مَا دُووِمَ عَلَيْهِ، وَإِنْ قَلَّ وَكَانَ آلُ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم إِذَا عَمِلُوا عَمَلاً أَثْبَتُوهُ». (مسلم: ٧٨٢).

قال النووي في شرحه: «فيه الحث على المداومة على العمل، وأن قليله الدائم خير من كثير ينقطع، وإنما كان القليل الدائم خيرًا من الكثير المنقطع؛ لأن بدوام القليل تدوم الطاعة والذكر والمراقبة والنية والإخلاص، والإقبال على الخالق سبحانه وتعالى، ويثمر القليل الدائم بحيث يزيد على الكثير المنقطع أضعافًا كثيرة». (ج٦/٧١).

وقد حث النبي صلى الله عليه وسلم العبد الملازم لطاعة من الطاعات إذا تركها لعذر أن يأتي بها في وقت آخر، وأخبر أن أجره ثابت لا ينقص، كما في حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من نام عن حزبه، أو عن شيء منه، فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر، كُتب له كأنما قرأه من الليل». (مسلم: ٧٤٧).

ومن فضل الله على عباده أن يكتب لهم أجر ما يداومون عليه من الأعمال إذا عجزوا لعارض كالمرض والسفر، قال أبو بردة: سمعت أبا موسى مرارًا يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا مرض العبد أو سافر كُتب له مثل ما كان يعمل مقيمًا صحيحًا». (البخاري: ٢٩٩٦).

قال الحافظ ابن حجر: «هو في حق من كان يعمل طاعة فمُنع منها، وكانت نيته لولا المانع أن يداوم عليها، كما ورد ذلك صريحًا عن أبي داود، ولأحمد من حديث أنس رفعه: إذا ابتلى الله العبد المسلم ببلاء في جسده قال الله: اكتب له صالح عمله الذي كان يعمله، فإن شفاه الله غسله وطهره، وإن قبضه غفر له ورحمه». (فتح الباري: ٦/١٣٦، ١٣٧).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو ربه الثبات على الطاعة، كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن قلوب بني آدم بين أصبعين من أصابع الرحمن عز وجل كقلب واحد يصرِّفه كيف يشاء». ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم مصرِّف القلوب اصرف قلوبنا إلى طاعتك». (مسند أحمد: ٢/١٦٨، وصححه الألباني في ظلال الجنة: ١/١٠٠).

وقد ذكر الله في كتابه أن من صفات عباده المفلحين المحافظة على الصلوات، قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ» (المعارج:٣٤)، قال الشيخ الشنقيطي رحمه الله في تفسير هذه الآية: «ذكر جلّ وعلا في هذه الآية الكريمة: المؤمنين المفلحين الوارثين الفردوس: أنهم يحافظون على صلواتهم، والمحافظة عليها تشمل إتمام أركانها، وشروطها، وسننها، وفعلها في أوقاتها في الجماعات في المساجد، ولأجل أن ذلك من أسباب نيل الفردوس أمر تعالى بالمحافظة

عليها في قوله تعالى: «حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى»، وذم وتوعد من لم يحافظ عليها في قوله: «فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا» (مريم:٥٩). (أضواء البيان: ٦/٧٧٤).

والمداومة على الطاعة سبب لمحبة الله للعبد كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إنَّ الله قال: مَنْ عَادَى لي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إليَّ عَبْدِي بشَيْءٍ أَحَبَّ إلَيَّ ممَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْه، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إلَيَّ بالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فإذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذي يَسْمَعُ به، وَبَصَرَهُ الَّذي يُبْصِرُ به، وَيَدَهُ الَّتي يَبْطِشُ بهَا، وَرِجْلَهُ الَّتي يَمْشِي بهَا، وإنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ المُؤْمِنِ يَكْرَهُ المَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ». (البخاري: ٦٥٠٢).

قال ابن حجر: قال الفاكهاني: «معنى الحديث: أنه إذا أدى الفرائض وأتبعها بالنوافل من صلاة وصيام وغيرهما أفضى به ذلك إلى محبة الله تعالى». (فتح الباري: ١١/٣٤٣).

والله تبارك وتعالى لم يجعل للمؤمن أجلاً دون الموت، قال الله تعالى: «وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ» (الحجر:٩٩)، قال ابن كثير في تفسيره: «ويستدل من هذه الآية: أن العبادة كالصلاة ونحوها واجبة على الإنسان ما دام عقله ثابتًا، فيصلي بحسب حاله، ويستدل بها على تخطئة من ذهب من الملاحدة أن المراد باليقين المعرفة، فمتى وصل أحدهم على المعرفة سقط عنه التكليف عندهم، والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم كانوا هم وأصحابهم أعلم الناس بالله وأعرفهم بحقوقه وصفاته، وما يستحق من التعظيم، وكانوا مع هذا أعبد وأكثر الناس عبادة ومواظبة على فعل الخيرات إلى حين الوفاة، وإنما المراد باليقين هنا الموت». (تفسير ابن كثير ٢/٧٥٧).

وعباد الله الصالحين لا يتغيرون ولا يتحولون، بل تجدهم في أعلى درجات الاستقامة على الطاعة والعبادة، كما قال الله فيهم: «مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا» (الأحزاب:٢٣). فيا أهل العقول السليمة والفطر المستقيمة حافظوا على ما عملتم في أيام رمضان من صيام وطاعة وقربة للرحمن، وما عملتم في لياليه من قيام وذكر وتلاوة للقرآن، ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثًا.

وإن العاقل ذا البصيرة يعلم أن قيمة وجوده في طاعة ربه، وسرعة الاستجابة لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، كما قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ» (الأنفال:٢٤)، والمؤمن لا يضيع وقتًا من حياته في غير طاعة، وهو يعلم أن طاعة ربه ومولاه جماع الخير كله، وفيها الطمأنينة والسكينة، وبها تزكوا النفس وتتطهر، وعليه أن يحاسب نفسه قبل أن يُحاسب، وأن يزن أعماله قبل أن تُوزن عليه، وليتذكر دائمًا قول الله تعالى: «إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (الإسراء:٧).

وليحذر العبد أن يكون من أهل الغفلة الذين سيندمون على التفريط في الطاعة والعبادة يوم القيامة، قال الله تعالى: «أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ» (الزمر:٥٦)، وقد سمى الله تعالى يوم القيامة بيوم الحسرة لكثرة النادمين فيه بعد فوات الأوان، «وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ» (مريم:٣٩)، فطوبى لمن استقام على الطاعة ولزم العبادة، وطرح الغفلة وراء ظهره، وندم على ما فرط، ولزم التوبة والاستغفار وسأل العزيز الغفار أن يغفر ذنبه، وأن يقبل عمله، وأن يعينه على الطاعة والعبادة والاستمرار عليها حتى الممات.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



عيد الفطر بين وداع المقبولين وخسارة المفرطين

بقلم
رئيس التحرير
جمال سعد حاتم
GSHATEM@HOTMAIL.COM
GSHATEM@HYAHOO.COM

الحمد لله الذي وسعت رحمته كل شيء، وأحصى كل شيء عددًا، رَحِمَ مَن شاء من عباده، فهيأ لهم في الدنيا ما يرفع به درجاتهم في الآخرة، فثابروا على طاعته، واجتهدوا في عبادته، إن أصابهم سراء شكروا فكان خيرًا لهم، وإن أصابتهم ضراء صبروا فكانوا ممن قال الله تعالى فيهم: «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر: ١٠). سبحان القائل: «يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ» (الحديد: ٦)، جعل لكل أجلٍ كتابًا، ولكل عمل حسابًا، وجعل الدنيا سوقًا يغدو إليها الناس ويروحون، فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها، والأيام أجزاء من العمر، ومراحل في الطريق، تَفْنَى يومًا بعد يوم، مُضيها استنفادٌ للأعمار، واستكمالٌ للآثار، وقُربٌ من الآجال، وغلق لخزائن الأعمال.

يوشك شهر كريم على الانتهاء، وقد مضت منه ليال غرٌّ بفضائلها، ونفحات ربِّها، وأوشك باقيها على الرّحيل، وكأنّها ضربُ خيال، وقد قطعت بنا مرحلة من حياتنا لن تعود، فها هو شهرُكم يغدو وقد اقتربت من الرحيل نهايته، وكم كان معنا من مستقبل للشهر الكريم لم يستكمله، وكم من مؤمِّل أن يعودَ إليه لم يدركه، فأيام رمضانَ تسارع مؤذنة بالانصراف والرحيل، وما الحياة إلا أنفاسٌ معدودة وآجال محدودة، فاللهم اجبر كسرنا، واختم بالصالحات أعمالنا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

العيد عقب عبادتين عظيمتين

وإذا كنا نودع شهرًا عظيمًا، ننتظر الجائزة للفائزين: «فرحة المسلم يوم فطره»، واستقبال العيد، والعيد في الإسلام في غاية الحكمة، وتمام المناسبة لمقاصد الدين، وكمال التشريع، وسمو التعاليم الإلهية، فهو يأتي عقب عبادتين عظيمتين من أركان الإسلام يجتهد فيهما البدن، وتتوجه طاقاته وقدراته إلى أنواع القربات، وتستنفد معظم قوة البدن في العبادة.. فعيد الفطر يأتي بعد

الصيام والقيام والذكر وأنواع من الطاعات، وعيد الأضحى يأتي بعد أعمال الحج وقربات التسع من ذي الحجة.

وقد علمنا الله تعالى الأعمال التي تقربنا منه، وشرع لنا في تلك الأوقات الفاضلة عبادات مختلفة يتضاعف ثوابها لشرف زمانها، وفضل أيامها ولياليها، رحمة من الله بنا وإحسانا إلى عباده وجوداً وكرماً.

ولو لم يعلمنا الله الخير والشر، والطاعة والمعصية، لما اهتدينا ولما صلينا ولا زكينا، ولما عرفنا فضل تلك الأوقات، ولما انتهينا عن المعاصي والمحرمات، قال الله تعالى: «وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ» (الأنعام: ٩١)، وقال الله تعالى: «كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ» (البقرة: ١٥١، ١٥٢).

نودع شهر الكرم.. فاستلف الزمن.. وغالب الهوى

نوشك أن نتلقى الجائزة، وننتظر عيدًا للمسلمين، يذكرنا بانقضاء الأيام ومرورها، وقرب الرحيل، والحذر من الاغترار بالسلامة والإمهال، ومتابعة سوابغ المنى والآمال، فالأيام تطوى، والأعمار تفنى، فاستلف الزمن وغالب الهوى، واجعل لك في بقية الليالي مدخرًا، وابك على تفريطك، واستنزل بركة المال بالصدقة، وحصّن مالك بالزكاة، وودِّع شهرك بكثرة الإنابة والاستغفار وقيام لله مخلص في دُجى الأسحار، وإن استطعتَ ألا يسبقَك إلى الله في بقيّة شهرك أحدٌ فافعل، ولعلك لا تدرك غيرَه، وافتح صفحة مشرقة مع مولاك، واسدل الستارَ على ماضٍ نسيتَه وأحصاه الله عليك، واستدرك هفوات الفوات، فالترحُّل من الدنيا قد دنا، والتحوّل منها قد أزف، والرشيد من وقف مع نفسه وقفة حساب وعتاب، والطاعة ليس لها زمنٌ محدود، ولا للعبادة أجل معدود، وعبادة ربِّ العالمين ليست مقصورة على رمضان، وليس للعبد منتهى من العبادة دون الموت، وبئس القوم لا يعرفون الله إلاَّ في رمضان.

إنّ للقبول والرِّبح في هذا الشهر علامات، وللخسارة والرّدّ أمارات، وإنّ من علامة قبول الحسنة: فعل الحسنة بعدها، ومن علامة السيئة: السيئة بعدها، فأتبعوا الحسنات بالحسنات تكن علامة على قبولها، وأتبعوا السيئات بالحسنات تكن كفارة لها ووقاية من خطرها، قال جلّ وعلا: «إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ» (هود: ١١٤)، ويقول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «اتّقِ الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخالق الناسَ بخلق حسن» (رواه الترمذي).

العيد والإصلاح في الأرض

وإذا كنا نودع شهر التقوى، وننتظر الجائزة حيث نستقبل بعد أيام قليلة عيد المسلمين، فإننا نذكر أنفسنا وإخواننا بأن غاية الإسلام هي إصلاح الإنسان بعبادة الله تعالى وحده لا شريك له، كما قال الله تعالى: «وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (الذاريات:٥٦)، وغاية الإسلام أيضًا إصلاح الأرض بتوحيد الله تعالى وإقامة الحدود، وحفظ الدماء والأموال وحياطتها وحراستها وتعزيز الأمر بالمعروف، ومحاربة كل منكر وفحشاء، وقد وعد الله من أصلح في هذه الحياة الدنيا بأنه لا يخاف مما يقدم عليه بعد الموت، ولا في مستقبل حياته، ولا يحزن على ما خلَّف وراءه من الذرية، وأن له الجنات العُلى، قال الله تعالى: «يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى ۙ فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (الأعراف:٣٥)، وقال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ» (الأعراف:١٧٠).

حكم العيد وغاياته

وإذا كنا على أعتاب استقبال العيد، فإن للعيد حكمًا وغايات، فمن حكمه وغاياته إظهار الفرح والسرور، بتمام العبادة التي قبله، قال الله تعالى: «وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ» (يونس:٥٨)، ومن حكم العيد وغاياته: تعظيم الرب جل

وعلا بذكره وتكبيره وتوحيده لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وإظهار الذل والمسكنة لعظمته، وبيان أنَّ اللذات والشهوات، ورغبات الدنيا حقيرة صغيرة تافهة، وأن الله هو الكبير المتعال، الذي هو أهل التقوى وأهل المغفرة.

ومن حكم العيد وغاياته: شهود المسلمين الخير الذي ينزله رب العالمين على المسلمين، وقد كانت حتى الحيض في عهد النبي صلى الله عليه وسلم يشهدن العيد للخير، ويعتزلن المصلى. ومن حكم العيد وغاياته: افتتاح المفطرات المباحة بالصلاة والذكر لئلا يجري المسلم وراء ملذاته، وينسى ربه المنعم الجليل.

ومن حكم العيد: تقارب المسلمين وصفاؤهم وتواصلهم وتعاطفهم واتحادهم الذي به يتعاونون على إقامة الدين وإصلاح الدنيا.

ومن حكم العيد: إظهار نعمة الله على العباد بالتجمل والتمتع بالمباح، وفي الحديث الذي أخرجه أحمد والترمذي من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: «إن الله إذا أنعم على عبد يُحب أن يرى أثر نعمته على عبده».

فضل عيد الفطر المبارك

نستقبل عيد الفطر المبارك في أول يوم من شوال بعد صيام وقيام وذكر للرحمن، وبعد قراءة للقرآن والإحسان، إن الله بعلمه وحكمته ورحمته بيَّن لنا الزمان الفاضل الذي يتضاعف فيه ثواب العمل الصالح، ولولا أن الله علمنا ذلك ما علمنا، ففرض الله علينا صيام رمضان، وسنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قيامه، فأخذت الروح أعظم نصيب من غذاء الإيمان والقرآن، وفطمت الجوارح عن مألوفاتها وعاداتها، وانكسرت ثورة النفس وكبح جماحها وتمردها، وجدَّ المسلم واجتهد، وشمَّر عن ساعد السباق إلى الخير حتى ارتقى في درجات الطاعة إلى مستوى عالٍ من طهارة القلب وسمو الخلق ولذة العبادة بحسب ما وفق الله العبد وأعانه.

فلما كان أن يتسرب إلى النفس والقلب الملل والسآمة والكسل، نقل الله عبده المسلم إلى حال أخرى، فأوجب عليه الفطر في هذا اليوم، وجعل هذا اليوم يوم فرح وسرور وبهجة وحبور، وأباح له التمتع بالطيبات، ورغبة في التجمل والزينة وبسط له في المباحات ليأخذ البدن نصيبه مما أحل الله، فينتقل المسلم من حال إلى حال، فيصبح في حياة متجددة طيبة توافق فطرته، ويحقق فيها كيانه الإنساني بالتوجيهات الربانية والتعاليم الإسلامية، فهذا تشريع اللطيف الخبير، قال الله تعالى: « قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (الفرقان:٦).

والعيد يتضمن تهذيب الخلق وتقويم السلوك، وذلك بالترغيب في الصبر والاحتمال والحلم والتواصل في هذا اليوم، والتسامح وتطهير القلوب من الغل والحسد والضغائن؛ لأنه يوم فرح وأخوة وسلام.

ويُشرع لصلاة العيدين الاغتسال قبل الصلاة، والتجمل بلبس الجديد، ويُسن السواك والتطيب، ويحف شاربه ولا يأخذ من لحيته شيئًا، ويُقلم أظافره.

ويسن أن يأكل تمرات قبل صلاة عيد الفطر، ويخالف طريقه في المجيء والعودة، ويُسن إظهار التكبير ليلة العيدين، ويجهر المسلم بالتكبير عند الخروج إلى المصلى حتى يفرغ الإمام من الخطبة.

ومن حكم التكبير: تعظيم الرب، وإرغام الشيطان وإصغاره وإذلاله، وإظهار الاستعلاء على الرغبات والملذات والمحبوبات، وبيان أن الله أكبر من كل شيء في قلب المسلم.

صدقة الفطر طهرة للصائم

وما أعظم هذا التنسيق الرباني، وما أعظم المناسبة بين هذا الذكر وتمام الصيام، قال الله تعالى: « قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا » (البقرة:١٨٥).

وقد روى أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين».

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نُخرج زكاة الفطر صاعًا من بُرٍ وصاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر أو صاعًا من زبيب أو صاعًا من أقط». (رواه البخاري ومسلم).

مقدار الصاع النبوي

الصاع النبوي = أربع حفنات بكفَّيْ رجل معتدل الكفين.

الصاع = سدس كيلة مصرية.

الصاع = قدح وثلث مصري.

والبيان التالي يوضح أوزان تقريبية لبعض الحبوب:

(أرز: ٢,٥٠٠ كجم)، (فاصوليا: ٢,٢٥٠ كجم)، (لوبيا: ٢,٢٥٠ كجم)، (فول: ٢,٢٥٠ كجم)، (عدس: ٢,٢٥٠)، (تمر: ٢ كجم)، (زبيب: ٢ كجم)

ويجزئ أن يُخرج هذا القدر من قوت بلده، وهي واجبة على كل مسلم ذكرًا كان أو أنثى، صغيرًا كان أو كبيرًا، والأفضل إخراجها قبل صلاة العيد ويجوز قبل ذلك بيوم أو يومين.

فرحة الصائم يوم العيد

نستقبل عيدًا من أعياد المسلمين بعد أن ودعنا الشهر العظيم، وما بقي منه إلا القليل يذكرنا ذلك بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «للصائم فرحتان، فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه». (رواه مسلم).

والفرح سلوك راقٍ، وفكر رصين، ومَطْلَبٌ مهم، وهدفٌ منشود، وكل إنسان يسعى إلى فرح قلبه، وزوال همه وغمِّه وتفرُّق أحزانه وآلامه.

ويعبر المسلم في هذه المناسبات عن فرحه وسروره، ويبتهج في مواسم البهجة والأعياد، والتعبير عن الفرحة يُنْعِش النفس ويجدد النشاط، بل تقتضي هذه المواسم أن نعيش الفرحة في كل لحظاتها، والبهجة بكل معانيها في إطار الشرع وضوابط الدين، ومرتكزات القيم والأخلاق، دون خدش للحياء.

والفرح مركزه القلب، وميدانه السلوك، ومظهره اللباس والزينة، والكلمة الطيبة، ورسالته الشعور الحسن والوجدان الفياض، وأثره سعادة عامرة تمسح آثار وبقايا الهم.

أما الحزن البائس فيولد الضيق، ويحطم النفس، ويُقعد الإنسان، ويتركه بلا حراك، ويجعل الشخصية خشنة جافة متهورة.

الفرح لا ينحصر في أيام معدودة، أو فترة محدودة، بل إن المسلم يعيش الفرح على مدار العام والعمر في الدنيا والآخرة، فأسباب الفرح في كل لحظة وسكنة من حياتنا، ودواعيه في كل شئوننا.

نفرح وقد عشنا مظاهر الطاعة من صيام وقيام، وتلاوة وألسن تلهج بالدعاء، وأعين تذرف الدمع خشية، وقلوبٌ ذليلة منكسرة تفرحُ فرحًا عميقًا بتوفيق الله لنا، ولذلك شرع الله التكبير إكبارًا وشكرًا له وثناء عليه، وإعظامًا لنعمته.

وعجبًا لأمر المؤمن يفرح في السراء والضراء، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له». بل إن المؤمنين يقابلون الابتلاء بالفرح؛ لأن الابتلاء يفضي إلى محو السيئات ورفع الدرجات، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «وإن كان أحدهم ليفرح بالبلاء كما يفرح أحدكم بالرخاء».

اللهم أدخل الفرح والسرور على قلوب المسلمين، وانصر الإسلام والمسلمين، وادحر أعداء الدين.

وأنتهز هذه الفرصة لأتقدم بخالص التهاني والتبريكات للمسلمين في كل مكان بعيد الفطر المبارك، أعاده الله علينا وعليكم وعلى مصر الغالية وشعبها وقادتها باليمن والخير والبركات، وتقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال.

والحمد لله رب العالمين.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

الحلقة الرابعة

قال تعالى: « إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ۚ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ۖ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ (١٩) هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ (٢٠) أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) »

(الجاثية: ١٩- ٢١).

إعداد/ د. عبد العظيم بدوي

الحمد لله، والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وبعد:

ولَمَّا كان تَرْكُ الشَّريعة واتِّباعُ الهَوى مُوجبًا للعَذاب، كما قال الله تعالى: « يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ » (ص: ٢٦)، لا جَرَمَ أعْلَمَ الله تعالى رَسُولَه والمؤمنين أنَّهمْ إن اتَّبَعُوا أهواءَ الَّذينَ لا يَعْلَمُون وتَركوا الشَّريعَة فأخَذهُمُ العَذابُ لَنْ يُغْني عَنهمُ الَّذينَ لا يَعْلَمُونَ مِنَ الله شَيْئًا، كمَا أنَّهمْ لو اتَّبعُوا شَريعَةَ الله واسْتَمسَكُوا بها، لَنْ يَضرَّهمْ كَيْدُ الَّذينَ لا يَعْلَمُون، لأنَّ الله وَلي المُتَّقين، يَتولاهُمْ ويَحْفظُهمْ ويَرْعاهُمْ، فقالَ تعالى:

«إنَّهمْ لنْ يُغْنُوا عَنْكَ من الله شَيْئًا وإنَّ الظَّالِمِين بَعْضُهمْ أوْلياءُ بَعْض والله وَلي المتَّقين».

يَقُولَ تعَالَى ذِكْرُهُ: إنَّ هَؤُلاءِ الجَاهلِينَ بِرَبِّهِمْ، الَّذينَ يَدْعُونَكَ يَا نبيّنا إلى اتِّبَاعِ أهْوَائهمْ، لَنْ يُغْنُوا عَنكَ إنْ أنْتَ اتَّبَعْتَ أهْواءَهُمْ، وَخالَفْتَ شَريعَةَ رَبِّكَ التي شَرَعَها لكَ منْ عقَابِ الله شَيْئًا، فيَدْفعُوهُ عَنْكَ إنْ هُوَ عاقَبَكَ، ويُنْقِذوكَ منْه.

وَقَوْلُه: «وإنَّ الظَّالمينَ بَعْضُهمْ أوْلياءُ» يَعْني وإنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهمْ أنْصارُ بَعْض، وأعْوانُهمْ عَلى أهل الإيمان بالله وأهْل طاعته «والله وَلي المتَّقين»، يَقُول تعالى ذِكْرُهُ: والله يَلي مَنِ اتَّقاهُ بأداءِ فَرائضه، واجْتِناب مَعاصيه بكفايته، ودِفاعِ مَنْ أرادَهُ بسُوء، يَقُولُ جلّ ثَناؤُهُ لنَبيِّه صلى الله عليه وسلم فكُنْ من المتَّقين، يَكْفِكَ الله ما بَغاكَ وكادَكَ به هؤلاء المشْركُون، فإنَّهُ وَلِي مَنِ اتَّقاهُ، ولا يَعْظُمُ عَلَيْكَ خِلافُ مَنْ خالَفَ أمْرَهُ وإنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، لأنَّهُمْ لنْ يَضُرُّوكَ ما كانَ الله وَلِيَّكَ وناصرَكَ (جامع البيان (١٤٧/٢٥)).



وولايةُ الظالمين بعضهم بعضًا، وولايتُهم للشياطين ثابتةٌ في مواضع كثيرة من الكتاب المبين:

قال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ» (الأنفال: ٧٣) وقال تعالى: «الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ» (التوبة: ٦٧)، وقال تعالى: «إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ» (الأعراف: ٣٠)، وقال تعالى: «وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (البقرة: ٢٥٧).

وولاية الله للمتقين كذلك ثابتة في مواضع من القرآن الكريم:

قال تعالى: «اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» (البقرة: ٢٥٧)، وقال تعالى: «أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (٦٢) الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (يونس: ٦٢- ٦٣)، وقال تعالى عن المشركين: «وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ» (الأنفال: ٣٤).

هذا بصائرُ للناس وهُدى ورحمةٌ لقوم يُوقنون

الإشارةُ بـ «هذا» إلى القرآن الكريم، والكتاب المبين. والـ «بصائر» جمعُ بصيرة، وهي الحجة البينة الظاهرة.

وكما أنَّ البصر اسمٌ للإدراك التام الكامل الحاصل بالعين التي في الرأس، فالبصيرةُ اسمٌ للإدراك التامِّ الحاصل في القلب. قال تعالى: «بَلِ الْإِنسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ» (القيامة: ١٤) أي له من نفسه معرفةٌ تامةٌ. قال ابنُ زيد رحمه الله: البصائرُ: الهُدى، بصائرُ في قلوبهم لدينهم، وليست ببصائر الرؤوس. وقرأ: «فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ» (الحج: ٤٦)، قال: إنما الدينُ بصرُه وسمعُه في هذا القلب.

والمعنى: هذا القرآنُ بصائرُ للناس يُبصرون به الهُدى من الضلال، والإيمانَ من الكفر، «وهُدى» يهدي المؤمنين إلى الطريق المستقيم، «ورحمةٌ» رحم الله به عبادَه المؤمنين، فأنقذهم به من الضلالة والهلكة، «لقوم يُوقنون» بحقيقة صحة هذا القرآن، وأنه تنزيل من الله العزيز الحكيم، وخصَّ جلَّ ثناؤه الموقنين بأنه لهم بصائرُ وهدى ورحمةٌ، لأنهم الذين انتفعوا به دون من كذَّب به من أهل الكفر، فكان عليه عمًى وله حزنًا. (انظر جامع البيان: ٧/٣٠٤، ٣٠٥، والتفسير الكبير: ١٣/١٤٠).

كما قال تعالى: «قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ» (الأنعام: ١٠٤).

وقولُه تعالى: «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون»:

«أم» منقطعةٌ. ومعنى الهمزة فيها إنكارُ الحسبان. والاجتراحُ: الاكتساب. ومنه الجوارح. وفلانٌ جارحةُ أهله، أي: كاسبهم. «أن نجعلهم» أن نصيّرهم. وهو من "جعل" المتعدي إلى مفعولين، فأولهما الضمير، والثاني: الكاف والجملة التي هي «سواءٌ محياهم ومماتهم» (الكشاف (٤/٢٩٠)).

قال الطبريُّ رحمه الله: يقول تعالى ذكرُه: أم ظنَّ الذين اجترحوا السيئات من الأعمال في الدنيا، وكذَّبوا رسل الله، وخالفوا أمر ربهم، وعبدوا غيره، أن نجعلهم في الآخرة، كالذين آمنوا بالله، وصدَّقوا رسله، وعملوا الصالحات، فأطاعوا الله، وأخلصوا له العبادة دون ما سواه من الأنداد والآلهة؟ كلا، ما كان الله ليفعل ذلك، لقد ميَّز بين الفريقين، فجعل حزب الإيمان في الجنة، وحزب الكفر في السعير.

وقوله: «ساء ما يحكمون» يقول تعالى ذكره: بئس الحكمُ الذي حسبوا أنا نجعل الذين اجترحوا السيئات والذين آمنوا وعملوا الصالحات سواءً محياهم ومماتهم. (جامع البيان (٢٥/١٤٨و١٤٩)).

وقد سألهم الله تعالى -سؤال إنكار- عن مستندهم الذي استندوا إليه في هذا الحكم، فقال: «أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ (٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ (٣٦) أَمْ لَكُمْ كِتَابٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ (٣٧) إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ (٣٨) أَمْ لَكُمْ أَيْمَانٌ عَلَيْنَا بَالِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ (٣٩) سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ» (القلم: ٣٥- ٤٠).

وقد تكرر هذا الإنكار في مواضع:

قال تعالى: «أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ» (ص: ٢٨).

وقال تعالى: «أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ» (الرعد: ١٩).

وقال تعالى: «وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ» (غافر: ٥٨).

وقد فرَّق الله تعالى بين الفريقين في المحيا والممات، والبرزخ، ويوم القيامة:

أمَّا محيا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فقد وصفه الله بقوله: «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا

يَعْمَلُونَ» (النحل: ٩٧).

وَقال تعالى: «لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ» (النحل: ٣٠).

وَقَال تعالى: «وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ» (هود: ٣).

أَمَّا مَحْيَا الَّذينَ اجْتَرحُوا السَّيِّئَات فَقَدْ قَال فيه الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا» (طه: ١٢٤)، أيْ ضَيِّقَة في كل شيْء، مَعيشة كُلُّهَا هَمٌّ وَغَمٌّ، وَنَكَدٌ وَحُزْنٌ، وَخَوْفٌ وَقَلَقٌ، وَحَيْرَةٌ وَاضْطِرَابٌ، وَإِنْ كَانُوا ذَوِي مَال وَجَاه وَسُلْطَان.

قَال الرَّازِيُّ عفا الله عَنْهُ مُبيِّنًا وُجُوه الفَرْق بيْن الحيَاتيْن:

وَاعْلَمْ أَنَّ عَيْشَ الْمُؤْمن في الدَّنْيَا أَطْيَبُ منْ عَيْش الكافر لوُجُوه:

الأوَّلُ: أنَّهُ لَمَّا عَرَفَ أَنَّ رزْقَهُ إنَّما حَصَلَ بتَدْبير الله تعالى، وَعَرَفَ أنَّهُ تعالى مُحْسنٌ كريمٌ لا يَفْعَلُ إلا الصَّوَابَ كانَ رَاضيًا بكُل مَا قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ، وَعَلمَ أَنَّ مَصْلَحَتَهُ في ذَلكَ، أَمَّا الْجَاهل فَلا يَعْرفُ هَذه الأُصُول فَكَانَ أبَدًا في الْحُزْن وَالشَّقَاء.

وَثانيهَا: أَنَّ الْمُؤمن أبَدًا يَسْتَحْضرُ في عَقْله أَنْوَاعَ الْمَصَائب وَالْمحَن وَيُقَدِّرُ وُقُوعَهَا وَعَلَى تَقْدير وُقُوعهَا يَرْضَى بهَا، لأنَّ الرِّضَا بقَضَاء الله تعالى وَاجبٌ، فَعنْدَ وُقُوعهَا لا يَسْتَعْظمُهَا بخلاف الْجَاهل فَإنَّهُ يَكُونُ غَافلاً عَنْ تلْكَ الْمَعَارف، فَعنْدَ وُقُوع الْمَصَائب يَعْظُمُ تَأْثيرُهَا في قَلْبه.

وَثالثُهَا: أَنَّ قَلْبَ الْمُؤْمن مُنْشَرحٌ بنُور مَعْرفَة الله تعالى، وَالْقَلْبُ إذَا كانَ مَمْلُوءًا منْ هَذه الْمَعَارف لَمْ يَتَّسعْ للأحْزَان الْوَاقعَة بسَبَب أَحْوَال الدُّنْيَا، أَمَّا قَلْبُ الْجَاهل فَإنَّهُ خَالٍ عَنْ مَعْرفَة الله تعالى فَلا جَرَمَ يَصيرُ مَمْلُوءًا منَ الأحْزَان الْوَاقعَة بسَبَب مَصَائب الدُّنْيَا.

وَرَابعُهَا: أَنَّ الْمُؤْمنَ عَارفٌ بأَنَّ خَيْرَات الْحَيَاة الْجسْمَانيَّة خَسيسَةٌ فَلا يَعْظُمُ فَرَحُهُ بوُجْدَانهَا وَغَمُّهُ بفُقْدَانهَا، أَمَّا الْجَاهل فَإنَّهُ لا يَعْرفُ سَعَادَةً أُخْرَى تُغَايرُهَا فَلا جَرَمَ يَعْظُمُ فَرَحُهُ بوُجْدَانهَا وَغَمُّهُ بفُقْدَانهَا. (التفسير الكبير (٢٠/١١٥)).

أَمَّا مَمَاتُ الَّذينَ آمَنُوا وَعَملُوا الصَّالحَات فَقَدْ قَال الله فيه: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ» (فصلت: ٣٠- ٣٢).

وَقال تعالى: «لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» (النحل: ٣٠- ٣٢).

عَنِ الْبَرَاء بْن عَازب رضي الله عنه قَال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم في جَنَازَة رَجُل منَ الأنْصَار، فَانْتَهَيْنَا إلى الْقَبْر وَلَمَّا يُلْحَد، فَجَلَسَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسنَا الطَّيْرَ، وَفي يَده عُودٌ يَنْكُتُ به في الأرْض، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَال: «اسْتَعيذُوا بالله منْ عَذَاب الْقَبْر». مَرَّتَيْن أوْ ثَلاثًا، ثُمَّ قَال: «إنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمنَ إذَا كَانَ في انْقطَاعٍ منَ الدُّنْيَا وَإقْبَالٍ منَ الآخرَة نَزَلَ إلَيْه مَلائكَةٌ منَ السَّمَاء بيضُ الْوُجُوه كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ مَعَهُمْ كَفَنٌ منْ أكْفَان الْجَنَّة، وَحَنُوطٌ منْ حَنُوط الْجَنَّة، حَتَّى يَجْلسُوا منْهُ مَدَّ الْبَصَر، ثُمَّ يَجيءُ مَلَكُ الْمَوْت حَتَّى يَجْلسَ عنْدَ رَأْسه فَيَقُول: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجي إلى مَغْفرَة منَ الله وَرضْوَان- قَال- فَتَخْرُجُ تَسيلُ كَمَا تَسيلُ الْقَطْرَةُ منْ في السِّقَاء، فَيَأْخُذُهَا فَإذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا في يَده طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا في ذَلكَ الْكَفَن وَفي ذَلكَ الْحَنُوط وَيَخْرُجُ منْهَا كَأَطْيَب نَفْحَة مسْكٍ وُجدَتْ عَلَى وَجْه الأرْض- قَال- فَيَصْعَدُونَ بهَا فَلاَ يَمُرُّونَ- يَعْني بهَا- عَلَى مَلأٍ منَ الْمَلائكَة إلا قَالُوا مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ فُلانُ بْنُ فُلانٍ بأَحْسَن أَسْمَائه الَّتي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بهَا في الدُّنْيَا حَتَّى يَنْتَهُوا بهَا إلَى السَّمَاء الدُّنْيَا فَيَسْتَفْتحُونَ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُمْ، فَيُشَيِّعُهُ منْ كُل سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إلَى السَّمَاء الَّتي تَليهَا حَتَّى يُنْتَهَى به إلى السَّمَاء السَّابعَة، فَيَقُولُ الله عز وجل: اكْتُبُوا كتَابَ عَبْدي في عليِّينَ وَأَعيدُوهُ إلي الأرْض فَإني منْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفيهَا أُعيدُهُمْ، وَمنْهَا أُخْرجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى. (صحيح سنن أبي داود: ٣٩٧٩).

أَمَّا مَمَاتُ الَّذينَ اجْتَرحُوا السَّيِّئَات فَقَدْ قَال الله تعالى فيه: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ» (الأنعام: ٩٣)، وَقَال تعالى: «وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ

وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (٥٠) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (الأنفال: ٥٠- ٥١).

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما في حديث البراء السابق:

«وإنَّ العَبْدَ الكافرَ إذا كانَ في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرة نزل إليه من السَّماءِ ملائكةٌ سُودُ الوُجوه معهم المُسوحُ فيجلسون منه مدَّ البصر ثمَّ يجيءُ ملكُ الموت حتى يجلسَ عند رأسه فيقول: أيتُها النفسُ الخبيثةُ اخرُجي إلى سخطٍ من الله وغضب- قال- فتفرَّقُ في جسده، فينتزعُها كما يُنتزعُ السَّفُّودُ من الصوف المبلول، فيأخذها، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفةَ عينٍ حتى يجعلوها في تلك المُسوح، ويخرُجُ منها كأنتنِ ريحِ جيفةٍ وُجدتْ على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمُرُّون بها على ملأٍ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الرُّوحُ الخبيثُ؟ فيقولون فلانُ بنُ فلانٍ بأقبح أسمائه التي كان يُسمَّى بها في الدُّنيا، حتى يُنتهى به إلى السَّماء الدُّنيا فيُستفتحُ له فلا يُفتحُ له». ثم قرأ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ» (الأعراف: ٤٠). «فيقول الله عز وجل: اكتُبوا كتابَه في سجِّين في الأرض السُّفلى فتُطرحُ رُوحُه طرحاً». ثمَّ قرأ: «وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ» (الحج: ٣١).

أمَّا في البرزخ فقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في حقِّ المؤمن في حديث البراء:

«فتُعادُ رُوحُه في جسده فيأتيه ملَكان فيُجلسانه فيقولان له: منْ ربُّك؟ فيقول ربِّيَ الله. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول دينيَ الإسلامُ. فيقولان له: ما هذا الرَّجلُ الذي بُعث فيكم؟ فيقول هو رسولُ الله. فيقولان له: وما علمُك؟ فيقول قرأتُ كتابَ الله فآمنتُ به وصدَّقتُ فيُنادي منادٍ في السَّماء: أنْ صدقَ عبدي، فأفرشوهُ من الجنَّة، وألبسوهُ من الجنَّة، وافتحوا له باباً إلى الجنَّة. قال: فيأتيه منْ رَوحها وطيبها، ويُفسحُ له في قبره مدَّ بصره. قال: ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثِّياب، طيِّبُ الرِّيح، فيقول: أبشرْ بالذي يسرُّك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقول له: منْ أنتَ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالخير؟ فيقول: أنا عملُك الصالحُ. فيقول: ربِّ أقمِ السَّاعةَ حتى أرجعَ إلى أهلي ومالي».

أمَّا الذين اجترحوا السَّيِّئات فقد وصف النبيُّ صلى الله عليه وسلم حالهم في القبر فقال: «فتُعادُ رُوحُه في جسده، ويأتيه ملكان فيُجلسانه، فيقولان له: منْ ربُّك؟ فيقول: هاه. هاه. لا أدري. فيقولان له: ما دينُك؟ فيقول: هاه. هاه. لا أدري. فيقولان له: ما هذا الرَّجلُ الذي بُعث فيكم. فيقول: هاه. هاه. لا أدري. فيُنادي منادٍ من السَّماء: أن كذب، فافرشوا له من النَّار، وافتحوا له باباً إلى النَّار، فيأتيه منْ حرِّها وسمومها، ويُضيَّقُ عليه قبرُه حتى تختلفَ فيه أضلاعُه، ويأتيه رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثِّياب، مُنتنُ الرِّيح، فيقول: أبشرْ بالذي يسوءُك، هذا يومُك الذي كنتَ تُوعَدُ. فيقول: منْ أنتَ فوجهُك الوجهُ يجيءُ بالشَّرِّ؟ فيقول: أنا عملُك الخبيث. فيقول: ربِّ لا تُقمِ السَّاعةَ» (صحيح سنن أبي داود: ٣٩٧٩).

أمَّا في الآخرة فقد فرَّق الله بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات والذين اجترحوا السَّيِّئات، فقال تعالى: «وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ (١٤) فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ» (الروم: ١٤- ١٦)، وقال تعالى: «أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (١٨) أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١٩) وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ» (السجدة: ١٩- ٢٠).

وقال تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧) وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ» (عبس)، وقال تعالى: «إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (٢٤) وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ (٢٥) لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٢٦) وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ» (يونس: ٢٣- ٢٧).

وللحديث بقية إن شاء الله،

والحمد لله رب العالمين.

صلاة العيد..
آداب وأحكام

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فصلاة العيد شعيرة ظاهرة من شعائر الإسلام، وقد شرعت صلاة العيد في العام الثاني لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم بعد فرضية الصيام، فلما أفطر الناس من رمضان خرج بهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الخلاء صبيحة أوَّل يوم من شهر شوال فصلى بهم أوَّل صلاة عيد في الإسلام قال ابن الملقن في الإعلام بفوائد عمدة الأحكام (١٩٣/٤): «أوَّل عيد صَلاَّهُ رسول الله صلى الله عليه وسلم عيد الفطر من السنة الثانية من الهجرة».

إعداد/ محمد عبد العزيز

وقد صلاها النبي صلى الله عليه وسلم وواظب عليها، وحثَّ المسلمين على صلاتها، وخرج بهم إلى الصحراء لفعلها، فلم يؤدها في المسجد لتكون أبلغ في الإظهار.

حتى أمر من ليس من أهل الصلاة، أن يحضرها، فيشهد الخير، ودعوة المسلمين، وكان يأمر بناته، ونسائه أن يخرجن فيشهدن العيد.

فعن أم عطية، قالت: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نخرجهن في الفطر والأضحى، العواتق، والحيض، وذوات الخدور. فأما الحيض فيعتزلن الصلاة، ويشهدن الخير، ودعوة المسلمين. قلت: يا رسول الله إحدانا لا يكون لها جلباب؟ قال: «لتلبسها أختها من جلبابها». رواه البخاري في مواضع منها (٩٧٤)، ومسلم واللفظ له (٨٩٠).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم: «كان يخرج بناته، ونساءه في العيدين». رواه أحمد (٢٠٥٤)، وابن ماجه (١٣٠٩)، ابن أبي شيبة (١٨٢/٢)، والطبراني في الكبير (١٢٧١٣، ١٢١٧٥).

مع أنَّه صلى الله عليه وسلم حثَّ المرأة أنْ تصلي المكتوبة في بيتها فعن عبد الله بن سويد الأنصاري، عن عمته أم حميد امرأة أبي حميد الساعدي أنها جاءت إلى النبيصلى الله عليه وسلم فقالت: يا رسول الله، إني أحب الصلاة معك؟ قال: «قد علمت أنك تحبين الصلاة معي، وصلاتك في بيتك خير من صلاتك في حجرتك، وصلاتك في حجرتك خير من صلاتك في دارك، وصلاتك في دارك خير من صلاتك في مسجد قومك، وصلاتك في مسجد قومك خير من صلاتك في مسجدي». قال: فأمرت فبني لها مسجد في أقصى شيء من بيتها وأظلمه، وكانت تصلي فيه حتى لقيت الله جل وعلا». رواه أحمد (٢٧٠٩٠)، وابن حبان (٢٢١٧)، وابن خزيمة (١٦٨٩). فهذا الإظهار لتلك الشعيرة بهذه الكيفية يدل على أهمية صلاة العيد، وتأكدها في حق سائر الأمة.

حكم صلاة العيد:

اتفق أهل العلم على مشروعية صلاة العيد،

وتأكدها، ثم اختلفوا فيما هو فوق ذلك على ثلاثة أقوال:

الأوّل: أنها سنة مؤكدة في حقِّ سائر الأمة، وإليه ذهب الشافعية في ظاهر المذهب، والمالكية ، وهو مذهب الجمهور. انظر: مغني المحتاج (١/٧٨١)، والذخيرة للقرافي (٢/٤١٧).

وأظهر ما استدلوا به حديث طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه قال جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا هو يسأل عن الإسلام.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خمس صلوات في اليوم والليلة. فقال: هل علي غيرهن؟ قال: لا، إلا أن تطوع». رواه البخاري (٤٦)، ومسلم (١١).

فهذا الرجل سأل عما يجب عليه من شرائع الإسلام، فأجابه النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك، وعلمه أمر دينه، ولا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة باتفاق.

الثاني: أنها فرض على الكفاية- إن قام بها البعض سقطت عن الباقين، وهذا ظاهر مذهب أحمد، والقول الثاني في مذهب الشافعي، وبه قال بعض الحنفية.

قال الموفق في المغني (٢/٢٢٣): «وصلاة العيد فرض على الكفاية في ظاهر المذهب إذا قام بها من يكفي سقطت عن الباقين، وإن اتفق أهل بلد على تركها قاتلهم الإمام».

وقد استدلوا على ذلك بأدلة منها:

- أنه لا يشرع فيه أذان، ولا إقامة، ولو كانت واجبة على الأعيان لشرع إعلامًا بها.
- أن الخطبة بعدها، فلا يجب حضورها على المصلين.
- تشبيها لها بصلاة الجنازة.
- واستدلوا على الوجوب بما يأتي من أدلة القول الثالث.

الثالث: أنها واجبة على الأعيان، وهو ظاهر مذهب الحنفية- وهم يفرقون بين الفرض، والواجب من حيث درجة الطلب-، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية.

وقد استدل أصحاب هذا المذهب بأدلة منها:

- قوله تعالى: « فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ» (الكوثر: ٣)، والأمر للوجوب.
- وقوله تعالى: «وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ» (البقرة: ١٨٥).
- ومواظبته صلى الله عليه وسلم عليها.
- وأنها من أعظم شعائر الإسلام الظاهرة.
- وأنه صلى الله عليه وسلم حث على الخروج لها حتى أمر النساء، والحيض أن يشهدوها.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية (٢٣/١٦١): «ولهذا رجحنا أن صلاة العيد واجبة على الأعيان. وقول من قال: لا تجب في غاية البعد؛ فإنها من شعائر الإسلام، والناس يجتمعون لها أعظم من الجمعة، وقد شرع لها التكبير.

وقول من قال: هي فرض كفاية لا ينضبط؛ فإنه لو حضرها في المصر العظيم أربعون رجلاً لم يحصل المقصود؛ وإنما يحصل بحضور المسلمين كلهم كما في الجمعة».

وقد أجاب الفريقان على دليل الجمهور بأنه صلى الله عليه وسلم أعلم الأعرابي بالواجب عليه من صلوات اليوم والليلة التي تتكرر.

وقت صلاة العيد:

وقت صلاة العيدين هو وقت صلاة الضحى، من ارتفاع الشمس قدر رمح بعد الشروق إلى وقت الزوال (الظهر).

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري (٢/٥٣٠): «قال ابن بطال: أجمع الفقهاء على أن صلاة العيد: لا تُصلى قبل طلوع الشمس، ولا عند طلوعها، وإنما تجوز عند جواز النافلة».

وعن خمير الرحبي، قال: خرج عبد الله بن بسر رضي الله عنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الناس في يوم عيد فطر، أو أضحى، فأنكر إبطاء الإمام، فقال: «إنا كنا قد فرغنا ساعتنا هذه، وذلك حين التسبيح».

فأنكر تأخيرها عن أوّل وقتها المشروع فيه صلاة النافلة، وهو وقت الضحى.

واستحب أهل العلم في عيد الفطر تأخيرها عن أول الوقت قليلاً؛ حتى يتمكن من لم يخرج زكاة الفطر من إخراجها، وفي عيد الأضحى تعجيلها في أول الوقت، لمكان الأضحية بعدها.

للحديث المرسل عن ابن الحويرث الليثي، أن رسول

الله صلى الله عليه وسلم كتب إلى عمرو بن حزم وهو بنجران: «أن عجل الأضحى، وأخر الفطر، وذكر الناس». «مسند الشافعي» (ص٧٤).

قال البيهقي في السنن الكبرى (٣/٣٩٩/٦١٤٩): «هذا مرسل، وقد طلبته في سائر الروايات بكتابه إلى عمرو بن حزم فلم أجده، والله أعلم».

حكم قضاء صلاة العيد:

قد تفوت صلاة العيد جماعة المسلمين لعذر من الأعذار، فهؤلاء يُشرَعُ لهم قضاؤها، لحديث أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الصحابة رضي الله عنهم: أن ركبًا جاؤوا، فشهدوا أنهم رأوا الهلال بالأمس.

«فأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يفطروا، وإذا أصبحوا أن يغدوا إلى مصلاهم». رواه أحمد (٢٠٠٦١)، وأبو داود (١١٥٧)، والنسائي (١٥٥٧).

وهذا هو مذهب جمهور علماء الأمصار.

وقد تفوت صلاة العيد بعض المصلين، فهل يشرع لهم قضاؤها فرادى، أو جماعات؟

خلاف بين أهل العلم:

- فذهب الحنفية، والمالكية في ظاهر المذهب إلى أنها لا تقضى لأنها شرعت جماعة بشروط مخصوصة، وقد فاتت، وقد ذكر القرافي في الذخيرة أن مالكًا قد جاء عنه استحباب قضائها.

- وذهب الشافعية إلى جواز قضائها جماعة، أو فرادى لفعل أنس بن مالك رضي الله عنه وعلى أصلهم في جواز قضاء النوافل.

- وذهب الحنابلة إلى التخيير بين:

أن يصلي أربعًا إن شاء بسلام، وإن شاء بسلامين.

أن يصلي ركعتين، كهيئة النوافل.

أن يصلى ركعتين كهيئة صلاة العيد.

وإن أدرك الإمام في التشهد قام بعد سلام الإمام فأتى بركعتين كهيئة صلاة العيد.

صفة صلاة العيد:

صلاة العيد ركعتان جهريتان صفتها كصفة سائر الصلوات، غير أنَّ فيها تكبيرات زوائد.

فيكبر الإمام في الركعة الأولى سبع تكبيرات، غير تكبيرة الإحرام، ثم يقرأ الفاتحة، وسورة الأعلى استحبابًا.

ويكبر في الثانية خمس تكبيرات، غير تكبيرة الانتقال، ثم يقرأ الفاتحة، وسورة الغاشية استحبابًا.

وهذا الذي سبق هو مذهب الشافعية، وهو أصح ما ورد في هذا الباب.

هل يرفع يديه مع تكبيرات العيد الزوائد؟

خلاف بين أهل العلم والمختار أنه يرفعها يديه مع كل تكبيرة، قال ابن المنذر في الأوسط (٤/٢٨٢): «كان عمر بن الخطاب يرفع يديه في كل تكبيرة من الصلاة على الجنازة، وفي الفطر والأضحى».

وممن رأى أن يرفع يديه في كل تكبيرة من تكبيرات العيد عطاء، والأوزاعي، والشافعي، وأحمد.

وفيه قول سواه: وهو أن يرفع يديه في أول تكبيرة هذا قول سفيان الثوري.

وقال مالك: ليس في ذلك سنة لازمة فمن شاء رفع يديه فيها كلها وفي الأولى أحب إليّ.

وفي كتاب محمد بن الحسن: إذا افتتح الصلاة رفع يديه ثم يكبر ثلاثًا فيرفع يديه ثم يكبر الخامسة ولا يرفع يديه، فإذا قام في الثانية فقرأ كبر ثلاث تكبيرات ويرفع يديه ثم يكبر الرابعة للركوع ولا يرفع يديه».

تنبيه: رفع الصوت بالتكبير إنما هو للإمام، ليأتم الناس به، فليس للمأموم الجهر بالتكبير.

خطبة العيد:

يشرع للإمام إذا قضى صلاته أن يخطب في الناس، وحضور الخطبة مستحب للمصلين.

لحديث عبد الله بن السائب، قال: شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العيد، فلما قضى الصلاة، قال: «إنا نخطب فمن أحب أن يجلس للخطبة فليجلس، ومن أحب أن يذهب فليذهب». رواه أبو داود (١١٥٥)، والنسائي (٣/١٨٥)، وابن ماجه (١٢٩٠)، وقد أعل الحديث جمع من أهل العلم بالإرسال، وقد صححه الألباني في الإرواء (٣/٩٦/٦٢٩).

وخطبة العيد كسائر الخطب تبدأ بالحمد، لكن يكون التكبير في تضاعيف الخطبة، فما استحبه بعض الفقهاء من افتتاح الخطبة بالتكبير لا أصل له.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٢/٣٩٣): «لم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه افتتح خطبة بغير الحمد لا خطبة

عيد، ولا خطبة استسقاء، ولا غير ذلك».

وهل للعيد خطبة أم خطبتان كالجمعة؟

اختلف أهل العلم في ذلك، فمنهم من قاسه على الجمعة فجعله خطبتين، وهم الجمهور قال الشافعي في الأم (٢٤٢/٣): «السنة أن يخطب الإمام في العيدين خطبتين يفصل بينهما بجلوس».

وقال (٢٤٣/٣): «وإن خطب في غير الجمعة خطبة واحدة وترك شيئًا مما أمر به فيها، فلا إعادة عليه، وقد أساء».

وذهب بعض أهل العلم إلى أن للعيد خطبة واحدة، على أنه لم يأت في ذلك شيء صريح فالأمر في ذلك واسع، والأقرب أنها خطبة واحدة لا خطبتان.

أين يصلى العيد؟

الثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يؤديها في الصحراء، ولم يرد عنه قط أنه أداها في المسجد لغير عذر، لا بسند صحيح، ولا بسند ضعيف، مع أن صلاة في مسجده بألف صلاة فيما سواه من المساجد.

إلا أنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه صلى العيد في المسجد لمطر أصابهم فعن أبي هريرة -رضي الله عنه-: «أنه أصابهم مطر في يوم عيد، فصلى بهم النبي صلى الله عليه وسلم صلاة العيد في المسجد». رواه أبو داوود (٩٨٠)، وابن ماجه (١٣٠٣).

وهذا لا حجة فيه لأمرين:

الأول: أنه ضعيف.

الآخر: لو ثبت، فإنه لعذر.

قال الموفق في المغني (٢٦٠/٣): «ولنا أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج إلى المصلى، ويدع مسجده، وكذلك الخلفاء من بعده، ولا يترك النبي صلى الله عليه وسلم الأفضل مع قربه، ويتكلف فعل الناقص مع بعده، ولا يشرع لأمته ترك الفضائل».

إلا أن صلاة العيد بالمسجد الحرام خاصة عليه عمل أهل العلم من الصحابة والتابعين إلى عصرنا.

من آداب العيد:

وها أنا أسوق بعض آداب العيد على عجالة:

١- التكبير من ليلتي العيد، حتى الصلاة في عيد الفطر، وحتى غروب شمس آخر يوم من أيام التشريق في عيد الأضحى.

عن ابن عمر رضي الله عنهما (أنه كان يخرج للعيدين من المسجد فيكبر حتى يأتي المصلى، ويكبر حتى يأتي الإمام). أخرجه الدارقطني وابن أبي شيبة، وصححه الألباني في الإرواء (١٢٢/٣) موقوفا ومرفوعا.

صيغة التكبير:

من صيغ التكبير الواردة عن صحابة النبي صلى الله عليه وسلم:

- الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا. الله أكبر الله أكبر، لا إله إلا الله، الله أكبر، الله أكبر ولله الحمد.

قال الحافظ في الفتح (٤٦٢/٢): «وأما صيغة التكبير فأصح ما ورد فيه ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان قال: كبروا الله: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر كبيرًا. ونقل عن سعيد بن جبير ومجاهد وعبد الرحمن بن أبي ليلى- وهو قول الشافعي- وزاد: ولله الحمد. وقيل: يكبر ثلاثا ويزيد لا إله إلا الله وحده لا شريك له.. إلخ.

وقيل: يكبر ثنتين بعدهما: لا إله إلا الله والله أكبر الله أكبر ولله الحمد، جاء ذلك عن عمر وعن ابن مسعود نحوه وبه قال أحمد وإسحاق.

وقد أحدث في هذا الزمان زيادة في ذلك لا أصل لها».

٢- أن يلبس أجمل ما يجد من ثياب، ويتطيب بأحسن ما يجد من طيب.

فعن الحسن بن عليٍّ رضي الله عنه قال: «أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في العيدين أن نلبس أجود ما نجد وأن نتطيب بأجود ما نجد وأن نضحي بأثمن ما نجد» رواه الحاكم في المستدرك (٧٥٦٠)، وهو حديث صالح في الشواهد، وعليه العمل عند جماعة أهل العلم.

٣- أن يفطر على تمرات قبل الغدو إلى صلاة عيد الفطر.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: «كان النبي صلى الله عليه وسلم لا يغدو يوم الفطر حتى يأكل تمرات». رواه البخاري (٩٥٣) وابن ماجه (١٧٥٤).

٤- التهنئة بالعيد بقول: تقبل الله منك أو نحوها، فهي ثابتة عن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.

٥- التزاور وصلة الأرحام.

٦- التوسعة على الأهل والجيران في غير سرف.

هذا ما يسره في هذا المقال، فإن يكن خيرًا فالحمد لله، وإن يكن خطأ فأستغفر الله منه.

باب السنة

أيسر العبادات وأوسع الرحمات

إعداد/ د. مرزوق محمد مرزوق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

فمهمتنا في هذه الدنيا تحقيق العبودية لرب البرية كما قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) (الذاريات: ٥٦)، وعمل العبد لا ينقطع إلا بالموت، وعبادته لا تنقضي إلا بالموت، والعبادة ليست قصرًا على موسم معين أو شهر بعينه. فإذا كان رمضان قد انقضى بصيامه وقيامه، فإن عبادة العبد لا تنقضي بانقضاء الشهر، والله عز وجل قد تكرم على عباده بعبادة مع كونها من أيسر العبادات فهي من أجلها وأكبرها وأوسعها رحمة، ألا وهي عبادة الذكر كما قال تعالى: (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) (العنكبوت: ٤٥).

الحديث:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ الفُقَرَاءُ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ مِنَ الأَمْوَالِ بِالدَّرَجَاتِ العُلاَ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ يَحُجُّونَ بِهَا، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ، قَالَ: «أَلاَ أُحَدِّثُكُمْ إِنْ أَخَذْتُمْ أَدْرَكْتُمْ مَنْ سَبَقَكُمْ وَلَمْ يُدْرِكْكُمْ أَحَدٌ بَعْدَكُمْ، وَكُنْتُمْ خَيْرَ مَنْ أَنْتُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِ إِلاَّ مَنْ عَمِلَ مِثْلَهُ: تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ خَلْفَ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ»، فَاخْتَلَفْنَا بَيْنَنَا، فَقَالَ بَعْضُنَا: نُسَبِّحُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنَحْمَدُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَنُكَبِّرُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: تَقُولُ: «سُبْحَانَ اللَّهِ، وَالحَمْدُ لِلَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُنَّ كُلِّهِنَّ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ».

العزو:

رواه البخاري في كتاب الآذان، باب الذكر بعد الصلاة (٨٠٧)، ومسلم في المساجد ومواضع الصلاة باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم (٥٩٥).

فائدة تربوية من إسناد هذا الحديث:

في هذا الحديث عبيد الله (ابن عمر بن

الخطاب) تَابعيّ صَغير روى عن سمي (مولى أبي بكر بن عبدالرحمن) وَلاَ يعرف لسمي روَايَة عَن أحد من الصَّحَابَة، فَهُوَ من روَايَة الْكَبير عَن الصَّغير، وهذا جانب تربوي مهم ودليل تواضع وإخلاص عني به علماؤنا إذ قالوا: (قد يروي الكبير القدر أو السن، أو الكبير فيهما معا عمن دونه، كما قيل: «لا ينبل الرجل حتى يأخذ عمن هو فوقه، وعمن هو مثله، وعمن هو دونه). ومن الفائدة في معرفته ألا يتوهم انقلاب السند، أو يتوهم أن الراوي دون المروي عنه؛ نظرا إلى أن الأغلب كون المروي عنه أكبر من الراوي».. وقد ذكروا مما يندرج تحت هذا النوع رواية الصحابي عن التابعي، كرواية العبادلة وغيرهم من الصحابة عن كعب الأحبار بعض ما كان يحدث به من أخبار السابقين. (ينظر منهج النقد في علوم الحديث ج١ص١٥٥).

الشرح:

(عن أبي هريرة، رضي الله عنه، قال: جاء الفقراء) فيهم أبو ذر كما عند أبي داود، وأبو الدرداء كما عند النسائي (إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-. فقالوا: ذهب أهل الدُّثور)، جمع: دثر، (بفتح الدال وسكون المثلثة) (من الأموال) بيان للدثور وتأكيد له؛ لأن الدثور يجيء بمعنى المال الكثير.

وبمعنى الكثير من كل شيء (بالدرجات العلا) في الجنة، أو المراد: علوَ القدر عنده تعالى (وبالنعيم المقيم) الدائم (يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم)، (ولهم فضل الأموال) بالإضافة لما سبق (يحجون بها ويعتمرون، ويجاهدون ويتصدقون).

(قال) عليه الصلاة والسلام: (ألا أحدّثكم بما) أي بشيء (إن أخذتم أدركتم).. إن أخذتم به أدركتم (من سبقكم) من أهل الأموال في الدرجات العلا،.. (ولم يدركم أحد بعدكم) لا من أصحاب الأموال ولا من غيرهم، (وكنتم خير من أنتم بين ظهرانيه).. أي: من أنتم بينهم (إلا مَن عمل) من الأغنياء (مثله).

وهو أنكم (تسبّحون، وتحمدون، وتكبرون خلف كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ) قال سميّ: (فاختلفنا بيننا) أي: أنا وبعض أهلي، هل كل واحد ثلاثًا وثلاثين أو المجموع (فقال بعضنا: نسبح ثلاثًا وثلاثين، ونحمد ثلاثًا وثلاثين ونكبر أربعًا وثلاثين)، قال سميّ: (فرجعت إليه) أي، أبي صالح والقائل أربعًا وثلاثين بعض أهل سميّ، وهو الأقرب لما ورد في مسلم، ولفظه: قال سميّ: فحدثت بعض أهلي هذا الحديث. فقال: وهمت. فذكر كلامه، قال: فرجعت إلى أبي صالح، إلا أن مسلمًا لم يوصل هذه الزيادة.

(فقال) أي: أبو صالح (تقول): (سبحان الله والحمد لله، والله أكبر، حتى يكون) العدد (منهن كلهن ثلاثًا وثلاثين). (وينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال: ٤٥٨/٢، وعمدة القاري: ١٢٨/٦، إرشاد الساري للقسطلاني: ١٣٧/٢).

ومما يستفاد من الحديث:

أولا: فضيلة الذكر وهو أمر لا يخفى من مثل هذا الحديث وغيره كما خرج الترمذي من حديث أبي الدرداء قال: قال صلى الله عليه وسلم: (ألا أنبِّئُكم بخير أعمالِكم، وأزكاها عندَ مليكِكم، وأرفعِها في درجاتِكم وخيرٌ لَكم من إنفاقِ الذَّهبِ والورِقِ، وخيرٌ لَكم من أن تلقَوا عدوَّكم فتَضربوا أعناقَهم ويضربوا أعناقَكم؟ قالوا: بلَى. قالَ: ذِكرُ اللَّهِ تعالى. قالَ معاذُ بنُ جبلٍ: ما شَيءٌ أنجى من عذابِ اللَّهِ من ذِكرِ اللَّهِ) (صحيح الترمذي ٣٣٧٧)، ومثله في صحيح ابن ماجه من حديث أبي الدرداء وغير ذلك كثير فلتراجع في مظانها. ويَشْمَلُ هذا الحديث الْفَرْضَ وَالنَّفْلَ، وَلَكن حمله أكثر الْعلمَاء على الْفَرْض؛ لأَنَّهُ وَقع فِي حَدِيث كَعْب بن عجْرَة عنْد مُسلم التَّقْيِيد بالمكتوبة (مُعقِّباتٌ لا يخيبُ قائلُهن دُبُرَ كلِّ صلاةٍ مكتوبةٍ:... الحديث) (مسلم: ٥٩٩)، فكأنهم حملوا الْمُطلق على الْمُقيد. (انظر عمدة القاري شرح صحيح البخاري: ١٢٨/٦).

ولا يشترط فيها الترتيب وإن كان الترتيب أولى. قال في إرشاد الساري (١٣٧/٢): «ويبدأ بالتسبيح لأنه يتضمن نفي النقائص عنه تعالى، ثم يثنى بالتحميد؛ لأنه يتضمن إثبات الكمال له، ثم يثلث بالتكبير إذ لا يلزم من نفي النقائص وإثبات الكمال نفي أن يكون هناك كبير آخر)، وهذا هو الأولى وهو الموافق للحديث، وإن كان الترتيب ليس شرطاً فقد وقع في غير ما رواية

تقديم التكبير على التحميد، ويستأنس له بقوله في حديث: « الباقيات الصالحات لا يضرك بأيهنّ بدأت».
وقد وردت روايات عديدة في عدد هذه الأذكار الثلاثة وما صح منها يجوز العمل به.
وما وقفت عليه مما صح في التّسبيح والتّحميد والتّكبير أربعة: الصيغة الأولى: أن يسَبّحَ اللّه في دُبُرِ كُلِّ صَلاَةٍ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، ويحمده ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، ويكبره ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، ويقول تَمَامَ الْمِائَةِ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فيكون المجموع مائة. لما روى مسلم (٥٩٧) عَنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.
وقد تكون هذه الصيغة: بسرد التسبيح ثلاثاً وثلاثين، ثم التحميد مثل ذلك، ثم التكبير مثل ذلك، وقد تكون بأن يجمعها جميعًا: سبحان الله، والحمد لله، والله أكبر، ثم يكررها مجموعة ثلاثاً وثلاثين مرة.

الصيغة الثانية:

أن يسَبّح الله ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَيحَمَدُهُ ثَلاَثًا وَثَلاَثِينَ، وَيكَبّرُهُ أَرْبَعًا وَثَلاَثِينَ، فيكون المجموع مائة. لما روى مسلم (٥٩٦) عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه.

الصيغة الثالثة:

أن يسبح الله ويحمده ويكبره ويهلله: خمسًا وعشرين، فيكون المجموع مائة. لما رواه النسائي (١٣٥٠) عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

الصيغة الرابعة:

أن يسبح الله عشراً، ويحمده عشراً، ويكبره عشراً. لما رواه أبو داود (٥٠٦٥) عن عَبْدِ اللّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، صححه الحافظ ابن حجر في «تخريج الأذكار» (٢٦٧/٢)، وصححه الألباني في «الكلم الطيب» (١١٣).
وقد يرفع الصوت بها عقب الصلاة شريطة عدم التشويش.
وهي مسألة اختلف الفقهاء فيها، فمنهم من ذهب إلى أنه سنة، ومنهم من كره ذلك وقال: إن النّبي صلى الله عليه وسلم لم يداوم عليه وإنما فعله للتعليم ثم تركه، وخلاصته أن هذا الخلاف قديم والأمر فيه سعة فمن فعله دون إزعاج للغير كما كان على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وكما وصفه ابن عباس فهو سنة، ومن فعله خارجا على ذلك مبالغا فيه فقد خرج به إلى بدعة الغلو التي نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله للصحابة في قفولهم من خيبر حين رفعوا أصواتهم بالتكبير فيما رواه البخاري من حديث أبي موسى قال: (أيها الناس، أربعوا على أنفسكم؛ فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبًا، ولكن تدعون سميعًا بصيرًا).
وسبب اختلافهم ما أخبر به ابن عباس رضي الله عنهما: (كنا نعلم انقضاء صلاة رسول الله بالتكبير) (البخاري:٨٠٦، مسلم: ٥٨٣)
فممن ذهب إلى رفع الصوت بالذكر بعد الصلاة: الطبري وابن حزم وشيخ الإسلام وغيرهم ورجح ذلك من المعاصرين الشيخ ابن عثيمين (ينظر المحلى لابن حزم: ١٨٠/٣، وكشاف القناع للبهوتي ٣٦٦/١).
قال ابن عثيمين رحمه الله: الجهر بالذكر بعد الصلوات المكتوبة سنة، دل عليها ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عباس رضي الله..... والجهر عام في كل ذكر مشروع بعد الصلاة سواء كان تهليلاً، أو تسبيحًا، أو تكبيرًا، أو تحميدًا لعموم حديث ابن عباس،....» انتهى من «مجموع فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٢٤٧/١٣، ٢٦١).
وممن ذهب إلى أن ذلك كان للتعليم فقط: الشافعي والجمهور « انتهى من «الأم» (١٢٧/١).
ومما ورد من التسبيح والتحميد والتكبير بعد الصلاة ليس هو الذكر الوحيد: فقد صح في ذلك أحاديث كثيرة أخرى كما في مسلم من حديث ثوبان مولى رسول الله قال: (كان رسول الله إذا انصرف من صلاته، استغفر ثلاثًا، وقال: اللهمَّ أنتَ السَّلامُ، ومنك السَّلامُ، تباركْتَ يا ذا الجلال والإكرام)، وغير ذلك كثير مما امتلأت به الكتب فلتراجع في مظانها في مثل (الأذكار للنووي ومثله للشوكاني

وكتاب الدعوات في صحيح البخاري وكتاب الذكر والدعاء في صحيح مسلم وغير ذلك).

هذا ومن فوائد الحديث كذلك أن المال الصالح للعبد الصالح أمر محمود:

لأنه سيتصرف في ماله بعلمه وصلاحه، وكان أهل الأموال من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم على مثل هذا، ومنه ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه كما خرج الترمذي من حديث عمر قال: أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يومًا. قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبقيت لأهلك»؟ قلت: مثله وإن أبا بكر أتى بكل ما عنده فقال: «يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك»؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله. فقلت: لا أسابقه إلى شيء أبدًا (قال الترمذي: حسن صحيح (٣٦٧٥)، وصححه الحاكم على شرط مسلم).

ونحو ذلك ما كان من عبدالرحمن بن عوف وعثمان بن عفان رضي الله عنهم أجمعين، هذا وأخبار الأجواد المنفقين أموالهم في سبيل الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يطول ذكرها جدا.

واستبقوا الخيرات:

من أجل هذا كان الفقراء من الصحابة كلما رأوا أصحاب الأموال منهم ينفقون أموالهم فيما يحبه الله.. حزنوا لما فاتهم من مشاركتهم في هذه الفضائل؛ وذلك كما في حديث الشهر وكما ذكرهم الله في كتابه إذ قال تعالى: « لَّيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ ۚ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٩١) وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ » (التوبة: ٩١- ٩٢)؛ نزلت هذه الآية بسبب قوم من فقراء المسلمين أتوا النبي صلى الله عليه وسلم وهو يتجهز إلى غزوة تبوك فطلبوا منه أن يحملهم فقال لهم: «لا أجد ما أحملكم عليه»، فرجعوا وهم يبكون حزنًا على ما فاتهم من الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعلى مثل هذا يكون البكاء..

سهر العيون لغير وجهك باطل
وبكاؤهن لغير فقدك ضائع

إنما يحسن البكاء والأسف على فوات الدرجات العلى والنعيم المقيم. (وينظر لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٠) فقد أمتع في هذا).

وفعل هؤلاء الأصحاب لا يتعارض مع الرضا بالقضاء والقدر بل هو موافق لما علمهم إياه الحبيب عليه الصلاة والسلام إذ قال كما روى في الصحيحين من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (لا حسد إلا في اثنتين: رجلٌ آتاه الله مالاً، فسلطهُ على هلكته في الحق، ورجلٌ آتاه الله حكمة، فهو يقضي بها ويعلمها).

ثم تأتي البشرى من الحكم العدل سبحانه وتعالى:

فلما رأى النبي صلى الله عليه وسلم تأسف أصحابه الفقراء وحزنهم على ما فاتهم من إنفاق إخوانهم الأغنياء أموالهم في سبيل الله تقربًا إليه وابتغاءَ لمرضاته طيب قلوبهم ودلهم على عمل يسير يدركون به من سبقهم ولا يلحقهم معه أحد بعدهم، ويكونون به خيرًا ممن هم معه إلا من عمل مثل عملهم: وهو الذكر عقب الصلوات المفروضات كما سبق بيانه.

تأصيل:

ومن إكرام الله للأمة أن من نوى عمل خير ثم عجز عنه فتأسف عليه وتمنى حصوله كان شريكًا لفاعله في الأجر كما في الترمذي وغيره من حديث أبي كبشة الأنماري أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «...إنما الدنيا لأربعة نفر: رجل آتاه الله مالاً وعلمًا فهو يعمل بعلمه في ماله ينفقه في حقه، ورجل آتاه الله علمًا ولم يؤته مالاً، وهو يقول: لو كان لي مثل هذا لعملت فيه مثل الذي يعمل، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فهما في الأجر سواء.... الحديث» (صحيح الجامع ٣٠٢٤)، ولهذا الحديث صلة في شهرنا القادم إن شاء الله.

وأخيرًا أيها الحبيب قد أحسن الله إليك في رمضان فلا تنقض عهدك مع ربك وانته حيث نهاك تعالى إذ قال: « وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا » (النحل: ٩٢)، فالله نسأل أن يجعل أيامنا كلها رمضان،

والحمد لله رب العالمين.

درر البحار في تحقيق ضعيف الأحاديث القصار

القسم الثاني

الحلقة (٤٨)

إعداد / علي حشيش

٤٣٩- «ما مِن ذي غِنًى إلا يسرُّهُ يومَ القيامةِ أنَّ ما أُوتي مِن الدُّنيا يكونُ قوتًا».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن ماجه في «السنن» (ح٤١٤٠)، وأحمد في «المسند» (١٦٧/١١٧/٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (ح٣٧١٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٦٩/١٠-٧٠) من حديث أنس مرفوعًا، وآفته نُفيع بن الحارث، ذكره الإمام الذهبي في «الميزان» (٩١١٥/٢٧٢/٤) وقال: «نُفيع بن الحارث أبو داود النخعي الكوفي القاص روى عن أنس وآخرين، قال العقيلي: كان يغلو في الرفض، وقال يحيى بن معين: ليس بشيء، وقال النسائي: متروك، قال الدارقطني وغيره: متروك، وقال أبو زرعة: لم يكن بشيء، وقال ابن حبان: لا تجوز الرواية عنه، وكذبه قتادة». اهـ.

٤٤٠- «لا تُميتوا القُلوبَ بكثرةِ الطعامِ والشرابِ، فإنَّ القلبَ كالزرعِ يموتُ إذا كثرَ عليهِ الماءُ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٧٨/٣) بصيغة الجزم مرفوعًا، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أقف له على أصل». اهـ.

٤٤١- «إنَّ القرآنَ كَجِرابٍ مَلأتَهُ مِسكًا، ثُمَّ رَبَطتَ على فيه، فإن فتحتَهُ فاح لك ريحهُ، وإنْ تَركتَهُ كانَ مِسكًا مَرفوعًا، فَكَذلِكَ مَثَلُ القُرآنِ إنْ قرأتَه أوْ كَانَ في صَدرِكَ».

الحديث لا يصح: أخرجه الرامهرمزي في «الأمثال» (ح٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (ح٧١٢٦) من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، عن أبيه عن أبي عبد الرحمن، عن عثمان مرفوعًا، وقال الطبراني: «لم يروه عن سلمة بن كهيل إلا ابنه يحيى، تفرد به إسماعيل بن صبيح عن يحيى وآفته يحيى بن سلمة بن كهيل ذكره الذهبي في «الميزان» (٩٥٧٧/٣٨١/٤) وقال: يحيى بن سلمة بن كهيل عن أبيه قال أبو حاتم وغيره: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال عباس عن يحيى: ليس بشيء لا

يكتب حديثه».

٤٤٢- «إنَّ المسجدَ لينزوي مِن النخامةِ كما تَنْزَوي الجِلدةُ على النَّار».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (١٠١/١) بصيغة الجزم مرفوعًا، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلًا».

٤٤٣- «كلُّ مؤذٍ في النَّار».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في «التاريخ» (٢٩٩/١١) من حديث الأشج عن علي بن أبي طالب مرفوعًا، وآفته الأشج وهو أبو الدنيا عثمان بن الخطاب البلوي المغربي، قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٥٥٠٠/٣٣/٣) حدّث بقلة حياء بعد الثلاثمائة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه فافتضح بذلك، وكذبه النقاد، قال الخطيب: علماء النقل لا يثبتون قوله. اهـ.

قلت: هكذا قاله الخطيب في «التاريخ» (٦٠٣٤/١٨٤/١٣): «العلماء من أهل النقل لا يثبتون قوله ولا يحتجون بحديثه». اهـ.

٤٤٤- «مَا مِن ليلةٍ إلاَّ ويُنادي مُنادٍ: يا أهلَ القُبورِ، مَنْ تُغبطونَ؟ قالوا: نغبطُ أهلَ المساجدِ لأنهم يَصُومُون ولا نصومُ، ويُصلونَ ولا نصلِّي، ويذكرونَ اللّه ولا نَذْكَرُهُ».

الحديث لا يصح: أورده الغزالي في «الإحياء» (٢١٠/٢) بصيغة الجزم مرفوعًا، قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: «لم أجد له أصلًا».

٤٤٥- «إذا قالت المرأةُ لزوجِها: واللهِ ما رأيتُ منك خيرًا قط فقد حَبِطَ عَمَلُها».

الحديث لا يصح: أخرجه ابن عدي في «الكامل» (١٦٧/٧) من حديث أنس مرفوعًا وآفته يوسف بن إبراهيم التميمي وروى ابن عدي عن البخاري قال: «صاحب عجائب». وعلة أخرى سلام بن رزين. قال الذهبي في «الميزان» (٣٣٤١/١٧٥/٢): «لا يعرف وحديثه باطل».

٤٤٦- «إنَّ اللّه يُبغض البخيلَ في حياتِه، السَّخِيَّ عِنْدَ مَوْتِه».

الحديث لا يصح: أخرجه الخطيب البغدادي في كتابه «البخلاء» (٥٩/١) (ح٤٢) من حديث علي بن أبي طالب مرفوعًا وآفته أحمد بن نصر الذارع، قال الذهبي في كتابه «المغني في الضعفاء» (٤٧٧/٦١/١): «أحمد بن نصر الذارع شيخ بغدادي وضَّاع مضرٌ له جزء مشهور، قال الدارقطني: دجال». اهـ.



أحوال الناس بعد رمضان

الشيخ الدكتور
إعداد/ سعود بن ابراهيم الشريم
إمام المسجد الحرام

الحمد لله مُقلِّب الأيام والشهور، والسنين والدهور، كريم ودود، غفور شكور، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وأشهد أن محمدًا عبد الله ورسوله الحريص الصبور، دعا فأبلغ، وبشَّر وأنذر، وبلَّغ رسالة ربه في جميع الأمور، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الميامين البدور، وعلى أصحابه أهل البرِّ والأجور، ومن تبعهم بإحسان ما سطع ضياءٌ، ولاحَ نور.

أما بعد: فأوصيكم-أيها الناس- ونفسي بتقوى الله سبحانه، والثبات على دينه، والعزيمة على الرشد، والغنيمة من كل برٍّ، وإياكم والقصور والفتور؛ فإنهما يُهلكان العبد ويُقعدانه عن التزوُّد بمعالي الأمور: (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) (البقرة: ١٩٧).

أيها المسلمون: الفرص الثمينة ما لفواتها عوَض، وإن انتهازها لدليلٌ جليٌّ على قوة الإرادة النابعة عن عزمٍ مُوفَّق، ومن فرح بالبطالة جَبُنَ عن العمل، ولا يغُرنَّ المرء رغباتُه الصالحة مُجرَّدة عن العمل، فإنه لن يستفيد منها إلا إذا انتهز كلَّ فرصة سانحة له، وعموم الأعمال الصالحة لا تُكلِّف المرء وقتًا طويلاً ما لم يشُقَّ على نفسه ويُرهِقها عُسْرًا.

ولذا-عباد الله- فإن الميدان سباق، والأوقات تُنتَهَب، وما فات ما فات إلا بالخلود إلى الكسل، ولا نيلَ خيرٌ إلا بالجِدِّ والعزم، وثمرة الأمرَيْن-عباد الله- أن تعب المُحصِّل للفضائل راحةٌ في المعنى، وراحة المُقصِّر في طلبها تعبٌ وشيءٌ يُعاب عليه إن كان ثَمَّ فهمٌ وإدراك.

والدنيا كلها إنما تُراد لتُعبَر لا لتُعمَر، وسيُودَع كلُّ واحدٍ منَّا قبره ولما يقضي لُبانتَه منها، ومن ثَمَّ يأسف على فقد ما وُجوده أنفع له في حين إن تأسُّفه ربما يكون نوع عقوبة عاجلة على تفريطه: (أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَى عَلَى مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) (الزمر: ٥٦- ٥٨).

وما هذه الدنيا-عباد الله- إلا كمائدةٍ شِبَعها قصير، وجوعها طويل، ومن سلك الطريق

الواضح دون فتورٍ أو مللٍ وردَ الماء فنَهَلَ منه رِيًّا، ومن خالفَ فقد وقع في التيه ولاتَ ساعة ارتواء.

أيها المسلمون: إن شهر رمضان قد انصرم وانمَحَق، وتفرَّق نظامُه بعد أن كان اتَّسَق، وانطوَت صحيفةُ ذلك السوق بعد عرض وطلب، وبيع وشراء، وربحٍ وخسارة، وغبنٍ وغِبطة، وصارت أحوال الناس في رمضان وبعد رمضان ثلاثة أضرب:

فضَربٌ من الناس ظنُّوا أن الله لا يُعبَد إلا في رمضان، ولا يُطاع إلا في رمضان، ولا محارم له إلا في رمضان، فبئس القوم هؤلاء الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، وبئس القوم هم إذ لم يريحوا من صومهم إلا الجوع والعطش، ولا من صلاتهم إلا التعب والسهر: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (فصلت: ٢٣).

وضَربٌ آخر من الناس حمَّلوا أنفسهم ما لا تُطيق، فأثقلوا عليها في العبادة فوق ما أراده الله لهم، وراغَموها دون تلطُّف، وإن مما لا شكَّ فيه أن الرواحل إذا قطَعَت مرحلتين في مرحلة واحدة فهي خَليقةٌ بأن تقِف، والطريق الشاقُّ ينبغي أن يُقطَع بألطف ممكن، ولذا فإن أخذ الراحة للجدِّ جِدٌّ، وغوصُ البحَّار في طلبِ الدُّرِّ صعودٌ له، ومن أراد البيِّنة على ذلك فليستمِع إلى قول النبي-صلى الله عليه وسلم-: "إن هذا الدين متين، فأوغلوا فيه برفق؛ فإن المُنبَتَّ لا أرضًا قطَع، ولا ظهرًا أبقى". رواه أحمد.

وفي الصحيحين أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "يا أيها الناس: خذوا من الأعمال ما تُطيقون، فإن الله لا يمَلُّ حتى تمَلُّوا، وإن أحبَّ الأعمال إلى الله ما دامَ وإن قلَّ".

أما الضَّربُ الثالث-عباد الله-: فهم أولئك المؤمنون المُلهَمون، الخائفون الراجون، الراغبون الراهبون، الذين توسَّطوا يوم تبايَن آخرون، واعتدلوا يوم شذَّ مغرورون، بواطنُهم كظواهرهم، رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات من عُبَّاد ربِّ الشهور كلها، فهم يعبدون الله في كل حين، ويعلمون أن الله اختصَّ رمضان بزيادة فضلٍ وعملٍ لا يُلغِي عملَ الشهور كلها، ولا يستهينُ بالعمل في غيره، يعلمون أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- جَوادٌ في كل حِينه، وإنما يزداد جُوده في رمضان.

ولأجل هذا-عباد الله- فإن هناك عباداتٍ هي من الثوابت التي لا تتغيَّر بعد رمضان؛ كالصلاة، والزكاة، والحجِّ، وصوم النوافل، والصدقة، والدعاء، وأمرٍ بمعروفٍ، ونهيٍ عن منكر، وغير ذلكم كثير.

ناهيكم-عباد الله- عن ثابت التوبة الذي لا يتغيَّر؛ بل هو مطلوبٌ في كل حينٍ وآن، كما قال-جلَّ وعلا-: ﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (النور: ٣١)، وقد كان النبي-صلى الله عليه وسلم- يتأوَّلها بقوله: "إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم مائة مرة".

ألا فاعلموا-عباد الله- أنكم قد علمتم ما سمعتم، ولقد أحسن من انتهى إلى ما سمع أو علم، ولقد ذُقتُم طعم العبادة في رمضان، ولذَّة القُرب من الله، فلا تُعكِّروا هذا الصَّفو بالكَدَر، والهناءَ بالشقاء، والقُرب بالبُعد: ﴿ وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا ﴾ (النحل: ٩٢).

فاتقوا الله-عباد الله-، ولا ترجعوا بعد رمضان إلى ارتضاع ثدي الهوى من بعد الفِطام، فما الرَّضاع إلا للطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء، وعليكم بالصبر على مرارة الفِطام، والعقد على العافية والمعافاة؛ لأن النكسة أصعب من المرض، والحَوْر بعد الكَوْر بلاءٌ وانهيار.

ولذا فإن من أعظم ما يُعين المرء على الثبات، وحصد الأجور الكبيرة في مُقابل العمل

الصغير: ما جاء في أجور صيام النوافل التي يعلم المُقصِّر من خلالها أنه سيكون حِلْسَ تفريط يجعله من القَعَدة المتخلِّفين إذا هو لم يُبادر ويتدثَّر بفضلها ونورها، فقد روى مسلم في صحيحه أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال: "من صام رمضان وأتْبَعه بستٍّ من شوال كان كصيام الدهر كله"، ووجه ذلك-عباد الله- أن الله-جل وعلا- جعل الحسنة بعشر أمثالها، فصيامُ رمضان يُعدُّ مُضاعفًا بعشرة شهور، وصيام الستّ بستين يومًا، فيتحصَّل من ذلكم أجر صيام سنةٍ كاملة.

وفي الحديث الآخر: أن النبي-صلى الله عليه وسلم- قال عن صيام ثلاثة من كل شهر-وهي أيام البيض-: "إنها كصيام الدهر"، وعدد أيام البيض في السنة مع ستٍّ من شوال اثنان وأربعون يومًا، فمن صام رمضان، وستًّا من شوال، وأيام البيض في سنةٍ واحدة صار كمن صام سنتين كاملتين، فيتحصَّل بذلكم اثنان وسبعون يومًا بأجر سبعمائة وعشرين يومًا: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ (الحديد: ٢١)، ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣).

هذا؛ وصلُّوا-رحمكم الله- على خير البرية، وأزكى البشرية: محمد بن عبد الله صاحب الحوض والشفاعة، فقد أمركم الله بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنَّى بملائكته المُسبِّحة بقُدسه، وأيَّه بكم أيها المؤمنون، فقال-جل وعلا-: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٥٦).

اللهم صلِّ وسلِّم وزِد وبارِك على عبدك ورسولك محمد صاحب الوجه الأنور، والجبين الأزهر، وارضَ اللهم عن خلفائه الأربعة: أبي بكرٍ، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وعن أمهات المؤمنين-رضي الله تعالى عنهن أجمعين-، وعن التابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وعنَّا معهم بعفوك وجودك وكرمك يا أرحم الراحمين.

اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، اللهم أعِزَّ الإسلام والمسلمين، واخذل الشرك والمشركين، اللهم انصر دينك وكتابك وسنة نبيك وعبادك المؤمنين.

اللهم من أرادنا وأراد الإسلام والمسلمين بسوءٍ فاشغَله بنفسه، واجعل كيده في نحره يا سميع الدعاء.

اللهم فرِّج همَّ المهمومين من المسلمين، ونفِّس كرب المكروبين، واقض الدين عن المدينين، واشفِ مرضانا ومرضى المسلمين، برحمتك يا أرحَم الراحمين.

اللهم آمِنَّا في أوطاننا، وأصلح أئمتنا وولاة أمورنا، واجعل ولايتنا فيمن خافك واتقاك، واتبع رضاك يا رب العالمين.

عزاء واجب

أسرة تحرير مجلة التوحيد واللجنة العلمية بها يتقدمان بخالص العزاء والمواساة إلى الزميل / أحمد رجب في وفاة والدته، رحمها الله رحمة واسعة، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

التعصب وأثره السيئ في ماضي الأمة وحاضرها

الحلقة الثانية

إعداد/ د. عماد عيسى
المفتش بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي علم بالقلم والصلاة والسلام على نبينا محمد المفرد العلم وعلى آله وصحبه أئمة الهدى ومصابيح الظلم وبعد:

فما يزال الحديث مستمرًا عن التعصب وآثاره السيئة على الأمة، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

عَصَبِيَّةُ الْمَذَاهِبِ مَنْشَأُ الْفُرْقَةِ بِفِعْلِ أَخْلَافِ السُّوءِ:

وَهَكَذَا جَرَتْ الأُمُورُ عَلَى السداد حتى ظهر المتعصبون من أخلاف السوء بعدما اختاروا التقليد خطة رُشْد لا عَدْلَ لَهَا - وإن كان لا بأس بذلك (أي: التقليد) لغير المتأهل للاجتهاد بشروط معتبرة عند الأصوليين -.

وَظَهَرَ التَّبَجُّحُ بِكَوْنِ هَذَا الْمَذْهَبِ أَوْلَى مِنْ ذَاكَ، وَسَرَتْ الْعَصَبِيَّةُ الْمُفْرِطَةُ فِي أَتْبَاعِ الْمَذَاهِبِ.

وَأَصْبَحَ الْوَلَاءُ وَالْبَرَاءُ مَعْقُودًا عَلَيْهَا وَظَهَرَ فِي الْمُتَأَخِّرِينَ حَطُّ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ كَحَطِّ الْحَنَفِيَّةِ عَلَى الشَّافِعِيَّةِ، وَالْعَكْسِ.

حَتَّى أَنَّ بَعْضَ الْمُقَلِّدَةِ أَنْزَلَ الزَّوَاجَ بِالْمَرْأَةِ مِنْ مَذْهَبٍ آخَرَ مَنْزِلَةَ الزَّوَاجِ بِالْكِتَابِيَّةِ.

وَقَالَ آخَرُ:

فَلَعْنَةُ رَبِّنَا أَعْدَادَ رَمْلٍ عَلَى مَنْ رَدَّ قَوْلَ أَبِي حَنِيفَةَ

وَلِأَبِي عَبْدِ اللهِ مُحَمَّدِ بنِ إِبْرَاهِيمَ الْبُوشَنْجِيِّ فِي الشَّافِعِيِّ:

وَإِنِّي حَيَاتِي شَافِعِيٌّ فَإِنْ أَمُتْ فَتَوْصِيَتِي بَعْدِي بِأَنْ يَتَشَفَّعُوا

وقال آخر:

أَنَا حَنْبَلِيٌّ إِنْ حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ فَوَصِيَّتِي لِلنَّاسِ أَنْ يَتَحَنْبَلُوا

وَقَالَ شَيْخُ الْإِسْلَامِ أَبُو إِسْمَاعِيلَ الْهَرَوِيُّ مُصَنِّفُ كِتَابِ (ذَمِّ الْكَلَامِ):

أَنَا حَنْبَلِيٌّ مَا حَيِيتُ وَإِنْ أَمُتْ فَوَصِيَّتِي ذَاكُمْ إِلَى الْإِخْوَانِ

إِذْ دِينُهُ دِينِي وَدِينِي دِينُهُ مَا كُنْتُ إِمَّعَةً لَهُ دِينَانِ

(السير: ١٨/ ٥٠٧).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: "إِنَّ الْإِمَامَ الْمَهْدِيَّ (يَعْنِي الْمُنْتَظَر) يُقَلِّدُ أَبَا حَنِيفَةَ، وَإِنْ عِيسَى يَحْكُمُ آخِرَ الزَّمَانِ بِمَذْهَبِ أَبِي حَنِيفَةَ، حَكَاهُ ابْنُ عَابِدِينَ عَنْ بَعْضِهِمْ وَرَدَّهُ فِي حَاشِيَتِهِ". (حاشية ابن عابدين: ١/ ٥٧).

هَذَا مَعَ الْعِلْمِ بِأَنَّ السُّنَّةَ قَدْ تَخْفَى عَلَى بَعْضِ

الْعُلَمَاءِ بَلْ عَلَى أَكَابِرِهِمْ، بَلْ عَلَى أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ سَبَقُونَا- كَمَا قَالَ الشَّافِعِيُّ – فِي كُلِّ عِلْمٍ وَفَضْلٍ.
وَيَرْحَمُ اللهُ ابْنَ حَجَرٍ حِينَمَا قَالَ فِي شَرْحِ حَدِيثِ " أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ " : "وَفِي الْقِصَّةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ قَدْ تَخْفَى عَلَى بَعْضِ أَكَابِرِ الصَّحَابَةِ، وَيَطَّلِعُ عَلَيْهَا آحَادُهُمْ، وَلِهَذَا لَا يُلْتَفَتُ إِلَى الْآرَاءِ، وَلَوْ قَوِيَتْ مَعَ وُجُودِ سُنَّةٍ تُخَالِفُهَا وَلَا يُقَالُ كَيْفَ خَفِيَ ذَا عَلَى فُلَانٍ وَاللهُ الْمُوَفِّقُ". اهـ (الفتح:١/ ٧٦ (٢٥)).
فَكَمْ وَقَعَتْ وَقَائِعُ وَشَبَّتْ فِتَنٌ وَأُوقِدَتْ نَارٌ لِلْحَرْبِ بِسَبَبِ ضِيقِ الْعَطَنِ وَتَضْيِيقِ مَا وَسَّعَ اللهُ (وَمَنْ يُرِدِ اللهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللهُ أَنْ يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ).
قَالَ الصَّنْعَانِيُّ: "إِنَّ التَّمَذْهُبَ مَنْشَأُ فُرْقَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَبَابُ كُلِّ فِتْنَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالدِّينِ وَهَلْ فَرَّقَ الصَّلَوَاتِ الْمَأْمُورَ بِالِاجْتِمَاعِ لَهَا فِي بَيْتِ اللهِ الْحَرَامِ إِلَّا تَفَرُّقُ الْمَذَاهِبِ النَّابِتِ عَنْ غَرْسِ شَجَرَةِ الِالْتِزَامِ.
وَهَلْ سُفِكَتِ الدِّمَاءُ؟! وَكَفَّرَ الْمُسْلِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا بِسَبَبِ التَّمَذْهُبِ فَإِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى الْخَلْقِ طَاعَتَهُ وَطَاعَةَ رَسُولِهِ وَلَمْ يُوجِبْ عَلَى الْمُسْلِمِينَ طَاعَةَ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَاتَّفَقَتِ الْأُمَّةُ غَيْرُ الرَّافِضَةِ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مَعْصُومًا فِي كُلِّ مَا يَأْمُرُ بِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم وَلِهَذَا قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ: كُلُّ أَحَدٍ يُؤْخَذُ مِنْ قَوْلِهِ وَيُتْرَكُ إِلَّا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم". (منحة الغفار للصنعاني: ١/ ٦٧).
وقال الشيخ محمد عبدالرزاق حمزة: "فلما انحدر المسلمون إلى هو ة التقليد وصار فيهم من يقول: الأصل كلام أصحابنا، ونرد ما خالفه من كتاب وسنة دالت دولة المسلمين واستولى عليهم من لا يقيم للإسلام وزنا وإن تظاهر به لإسكات العامة.
ثم كانت المصائب أتخم بها بطن التاريخ من غزو التتار لشرق البلاد وفيهم أتباع مقتدي الأمة وقُدْوَة الأئمة، وغزو الإفرنج للشام ومصر، وقبلها تنصير مسلمي الأندلس.

ثم تنفس الإسلام بحيويته الكامنة؛ فكان طرد الفرنجة من الشام وشواطئ مصر وغزو الترك لشرق أوروبا وفتح القسطنطينية.
ثم فترت همة الإسلام بشؤم التقليد، والإعراض عن الكتاب والسنة، حتى كان ما نراه اليوم وقبل اليوم من استيلاء الدهرية الأوروبية على معاقل الإسلام وحصونه ودياره من الهند واندونيسيا وشواطئ إفريقيا؛ الجزائر وتونس ومراكش وطرابلس ومصر والشام والعراق وأطراف الإمبراطورية العثمانية وارتماء تركيا الحديثة إلى أحضان أوروبا ودهريتها وخلاعتها.
كل هذا- وَرَبِّكَ- أَيُّهَا الْقَارِئُ بِشُؤْمِ وَتَرْكِ هِدَايَةِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، وَآخِرُ الطَّوَامِّ خُرُوجُ تركيا الفتاة وأعني رجال حكومتها عن دين الإسلام الصحيح والمحرف وإعلانهم دهرية الحكومة وأنها لا دين لها.
فهل كان هذا من عواقب اللامذهبية الذي يأخذون دينهم من كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، أو هو شؤم التمذهب بغير بصيرة ولبس الدين مقلوبا، وقياس المرأة المسلمة الشافعية التي تقول: أنا مؤمنة إن شاء الله تعالى، في حل نكاحها على اليهودية والنصرانية، وجعل طول "الذكر" أو قصره من مرجحات الإمامة في الصلاة فيقدم طويل الذكر أو قصيره إماما على من ليس كذلك، وأخيرا:
إن الأصل كلام أصحابنا، وهل الدين إلا الرأي الحسن؟ وما خالفه من كتاب أوّلناه؛ ومن سنة رددناه كرد حديث أنس في قتل قاتل الجارية بما قتل به أنه من تخريف أنس الذي شاخ وخرف فروى لنا قتل النبي ليهودي بلا بينة ولا اعتراف، ورواية الاعتراف يرويها قتادة المدلس، الذي لم يعرف البخاري تدليسه، وعرفه أذكياء؛ ولو ضربه بأبا قبيس، وهل الدين إلا الرأي الحسن؟ وفي أصحابي من يبول قلتين لتقذير حديث: إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث، وإذا كانوا في سفينة كيف يتفرقون لرد حديث: البيعان بالخيار ما لم يتفرقا و... و... وأن القرآن الذي نسمعه ليس

إلا صوت القارئ ونغمه، ليس هو كلام الله فليس لله كلام بيننا!! وانما هي أصوات محدثة ليس من الله بدأ، ولا إليه يعود وان إيمان السكير العربيد مثل إيمان جبريل وميكائيل ومحمد وأبي بكر وعمر... إلخ.

كل هذا وأضعافه كان سبب ضعف الإسلام؛ وزوال دوله وقوته وعزته، وتحكم الكفار في مصائر أهله، وسومهم سوء العذاب. (التنكيل: ١٣١/١ - ١٣٣).

إنَّ العَصَبِيَّةَ وَتَرْكَ الإِنْصَافِ كَفِيلاَنِ بِالرَّدِّ عَنْ جَمِيلِ الأَوْصَافِ وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ.

وَكَمْ أُوذِيَ عُلَمَاءُ فُحُولٌ وَأُبْعِدُوا عَنِ الإِفَادَةِ بَعْدَمَا بَلَغُوا مِنَ العِلْمِ مَرَاتِبَ الإِجَادَةِ؟!

حَتَّى حُرِمَ النَّاسُ الاسْتِفَادَةَ مِنْهُمْ كَابْنِ حَزْمٍ- الَّذِي يُسَمِّيهِ ابْنُ القَيِّمِ (مَنْجَنِيقَ الغَرْبِ) (كَمَا فِي زَادِ المَعَادِ: ٤٦٥/٥)؛ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ حُجَّتِهِ وَعَارِضَتِهِ وَسَعَةِ حِفْظِهِ-، فَقَدْ أُحْرِقَ مِنْ كُتُبِهِ بَعْضُهَا.

وَمِنْ هَؤُلاَءِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ فَكَمْ أُوذِيَ وَصَبَرَ؟! مَعَ أَنَّهُ كَانَتْ عُلُومُ النُّبُوَّةِ تُسْتَجْلَى مِنْهُ بَلْ وَأَسْلَمَتْ مَعَارِفُ النَّاسِ عَلَى مَعَارِفِهِ كَمَا قَالَ ابْنُ قَوَّامٍ- أَحَدُ أَصْحَابِهِ- حَتَّى مَاتَ فِي حَبْسَتِهِ الأَخِيرَةِ فِي قَلْعَةِ دِمَشْقَ (سَنَةَ ٧٢٨ هـ).

وَكَذَا أُوذِيَ تِلْمِيذُهُ النَّجِيبُ ابْنُ القَيِّمِ وَابْنُ رَجَبٍ حَفِيدُ ابْنِ تَيْمِيَّةَ بِالتَّلْمَذَةِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ الصَّنْعَانِيُّ وَالشَّوْكَانِيُّ وَغَيْرُهُمْ عَلَى مَرِّ العُصُورِ كُلُّ ذَلِكَ لأَنَّهُمْ خَالَفُوا أَرْبَابَ التعصب لِلْمَذَاهِبِ حِينَئِذٍ عَنِ اجْتِهَادٍ وَانْتِصَارٍ لِلدَّلِيلِ، وَإِلَى اللهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ.

قَالَ ابْنُ القَيِّمِ مُقَارِنًا بَيْنَ مُتَعَصِّبَةِ المُقَلِّدَةِ وَمُتَّبِعِي الأَثَرِ: "مَعَ العِلْمِ بِأَنَّ المُقَلِّدَ المُتَعَصِّبَ لاَ يَتْرُكُ مَنْ قَلَّدَهُ وَلَوْ جَاءَتْهُ كُلُّ آيَةٍ، وَأَنَّ طَالِبَ الدَّلِيلِ لاَ يَأْتَمُّ بِسِوَاهُ، وَلاَ يُحَكِّمُ إِلاَّ إِيَّاهُ، وَلِكُلٍّ مِنَ النَّاسِ مَوْرِدٌ لاَ يَتَعَدَّاهُ، وَسَبِيلٌ لاَ يَتَخَطَّاهُ، وَلَقَدْ عُذِرَ مَنْ حَمَلَ مَا انْتَهَتْ إِلَيْهِ قُوَاهُ، وَسَعَى إِلَى حَيْثُ انْتَهَتْ إِلَيْهِ خُطَاهُ" اهـ (زاد المعاد ٢٠١/٥).

وَإِنَّمَا وَقَعَ التَّعَصُّبُ مِمَّنْ أَضْحَتْ بِضَاعَتُهُ فِي العِلْمِ مُزْجَاةً؛ فَانْطَفَأَتْ بَصِيرَتُهُ انْطِفَاءَ المِشْكَاةِ، وَقَصُرَ فِي الفَهْمِ بَاعُهُ، وَضَعُفَ خَلْفَ الأَثَرِ اتِّبَاعُهُ، بِخِلاَفِ مَنْ شَمَّرَ عَنْ سَاقِ العَزْمِ وَاهْتَمَّ، وَطَلَبَ العِلْمَ مِنْ بَابِهِ، وَاقْتَدَى بِأَئِمَّتِهِ العُدُولِ وَائْتَمَّ؛ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ بِأَنْ يَكُونَ سَعْيُهُ المَشْكُورَ، وَحَرِيٌّ بِأَنْ يُصْبِحَ عَمَلُهُ المَبْرُورَ، وَجَدِيرٌ بِأَنْ تَكُونَ تِجَارَتُهُ الرَّابِحَةَ الَّتِي لاَ تَبُورُ، وَاللهُ تَعَالَى يَفْتَحُ- لِمَنْ أَمَّهُ مُخْلِصًا، وَطَالِبًا مَرْضَاتَهُ- كُلَّ بَابٍ، وَيُوَفِّقُهُ لِلْهُدَى وَيُلْهِمُهُ الصَّوَابَ.

ومن النماذج الغريبة التي ابتُليت بالتعصب- في القرن الهجري الماضي- فجاءت بأوابد لا شبيه لها وفرى لا امتراء فيها، الشيخ محمد زاهد الكوثري وهو حنفي محترق ومقلد جامد، يصدق فيه أنه رجل ملء إهابه التعصب. (هذا وصف وصف الكوثري به الراوي: إبراهيم بن شماس، التنكيل ٩٣/١).

ومع ما كان عليه من وفور العلم والجلد في البحث وسعة الاطلاع- وحسبك أن يصفه الإمام الحبر المحقق المعلمي اليماني بـ(الأستاذ العلامة)- إلا أن عصبيته لأبي حنيفة حملته على الوقوع في بوائق وأَلْجَأَتْهُ غَيْرَ مُلْجَأ إلى الولوغ في أعراض الأئمة بل الوقوع في الصحابة والطعن على التابعين وثلب منهج السلف الصالح عموما سامحه الله.

ألف الكوثري كتاب (تأنيب الخطيب) دفاعاً عن أبي حنيفة، وتكلم فيه كلام متشف متعصب، فـ (تعدى ما يوافقه عليه أهل العلم من توقير أبي حنيفة وحسن الذب عنه- إلى ما لا يرضاه عالم متثبت من المغالطات المضادة للأمانة العلمية، ومن التخليط في القواعد، والطعن في أئمة السنة ونقلتها، حتى تناول بعض أفاضل الصحابة والتابعين والأئمة الثلاثة مالكاً والشافعي وأحمد وأضرابهم وكبار أئمة الحديث وثقات نقلته والرد لأحاديث صحيحة ثابتة، والعيب للعقيدة السلفية، فأساء في ذلك جداً حتى إلى الإمام أبي حنيفة نفسه، فإنَّ من لا يزعم أنه لا يتأتى الدفاعُ عن أبي حنيفة إلا بمثل ذلك الصَّنيع فَسَاء ما يُثْني عَلَيه). (طليعة التنكيل: ٩/١).

وقد نعى المعلمي رحمه الله تعالى على الكوثري تعصبه الشديد بقوله: (ومن عجيب شأن

التَّعَصُّب أَنَّهُ يَبْلُغُ بصاحبه منْ الْعَمَى أَنْ يَسْعَى جَاهدًا في الإضْرار بمَنْ يَتَعَصَّبُ لَهُ مُتَوَهِّمًا أَنَّهُ أَنَّما يَسْعَى في نَفْعه). (التنكيل: ١/٣٨٨).

وهكذا مسَّ الرجلُ العلم بقرحة شديدة من التعصب، وأصابه بـ (ضروب الخيَانات والجنايات ما تَقفُ له الشعورُ، وتقشعرُّ منه الجلودُ، ويسأل من مثْله العافيةُ). (من كلام علامة الشام بهجت البيطار، التنكيل: ١/٧٤).

نسخ التحاكم إلى الشريعة في المحاكم المصرية نتاج العصبيَّة المذهبيَّة:

لَقَدْ كَانَ الْجُمُودُ وَالْعَصَبِيَّةُ الْمَذْهَبِيَّةُ سَبَبَ اسْتِبْدَال مصرَ بفقْه الْفُقَهَاء، وَإحْلال الْقَوَانين الْوَضْعيَّة- الَّتي أَسَاسُهَا قَانُونُ (نَابلْيُونَ)- مَحلَّهُ فَأَضَاعُوا عَلَى الأُمَّة غَنيمَةً بَاردَةً إِذْ كَانَ الْحَاكمُ هُوَ الطَّالبُ للْفقْه وتَحْكيم الشَّريعَة «وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثۡمٗا مُّبِينًا» (النساء: ٥٠)، في وَقْت كَانَتْ الشَّريعَةُ - وَلا تَزَالُ- كَالْعَيْن الثَّرَّة الَّتي لا يَنْضَبُ مَاؤُهَا وَلا يُكَدَّرُ مَعينُهَا فَإلَى اللَّه الْمُشْتَكَى.

قَال ابن القيم: "وَمَنْ لَهُ ذَوْقٌ في الشَّريعَة، وَاطلاعٌ عَلَى كَمَالاتهَا وَتَضَمُّنهَا لغَايَة مَصَالح الْعبَاد في الْمَعَاش وَالْمَعَاد، وَمَجيئهَا بغَايَة الْعَدْل، الَّذي يَسَعُ الْخَلائق، وَأَنَّهُ لا عَدْلَ فَوْقَ عَدْلهَا، وَلا مَصْلَحَةَ فَوْقَ مَا تَضَمَّنَتْهُ منْ الْمَصَالح: تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّ السِّيَاسَةَ الْعَادلَةَ جُزْءٌ منْ أَجْزَائهَا، وَفَرْعٌ منْ فُرُوعهَا، وَأَنَّ مَنْ لَهُ مَعْرفَةٌ بمَقَاصدهَا وَوَضْعهَا وَحُسْنَ فَهْمُهُ فيهَا: لَمْ يَحْتَجْ مَعَهَا إلَى سيَاسَة غَيْرهَا أَلْبَتَّةَ". (الطرق الحكمية: ١/٧).

إنَّ أَميرَ مصرَ (الخديوي إسماعيل) طلب إلى شيوخها على لسان أحد المثقفين: أن يخرجوا خلاصة مذهبية مهذبة الأطراف والحواشي، مبوبة منظمة تعتمد قولاً واحداً من أقاويل متعددة لا يعرف الحق في أيها ليقدمه للمحاكم لتقضي به على المتحاكمين إليها من وطنيين وأجانب، فاستعفى الأميرَ ذلك المثقفُ بأنه كبرت سنه ولا يحب أن يطعن الشيوخَ في دينه بهذا الطلب منهم، لما يعلمه من جمودهم على ما هم فيه وطعنهم فيمن يحاول تحويلهم عنه، فلجأ الأمير إلى أرمني (رئيس وزراء مصر آنذاك) لخص له خلاصة قانون نابليون، وأعلنه حكمًا يتحاكم إليه في المحاكم، فنسخت بذلك شريعة الإسلام في المحاكم المدنية والجنائية وسائر المعاملات، فمن المسئول عن تأخير فقه المذاهب ونسخ الشريعة الإسلامية فيها حتى لم تبق للمحاكم الشرعية إلا ثلة من الأحكام الشخصية، مثل الطوائف الأخرى من يهود، وقبط، ومارون، في النكاح والطلاق والعدد والنفقات". (التنكيل: ١/١٢٠ - ١٢١).

وَهكَذَا أُلْبسُوا شيَعًا وَأُذيقَ بَعْضُهُمْ بَأْسَ بَعْض، فَانْظُرْ كَيْفَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبيل اللَّه مَنْ آمَنَ بِه وَيَبْغُونَهَا عوَجًا منْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ.

وَهكَذَا أَضَاعَتْ الْعَصَبيَّةُ منْ أُمَّتنَا فُرَصًا قَدْ لا تَعُودُ إلاَّ بَعْدَ حين منَ الدَّهْر.

وَلَقَدْ كَانَتْ الْقُرُونُ الْجَامدَةُ مُنْذُ الْقَرْن الْخَامس الْهجْريِّ وَمَا تَلاهُ قَدْ أَثْمَرَتْ ثمَارًا مُرَّةً وَعَقمَتْ منْ أَجْلهَا عُقُولٌ وَتَاهَتْ في بَيْدَاء الْجُمُود أَعْلامٌ وَتَعَطَّلَتْ أَفْهَامٌ حتى ركد ماء العلم بعدما كان جاريًا، وكاد أن يأسن بعد أن كان عذبًا صافيًا، ومع ذلك فإن عصبية هذه الأيام قد جازت هذه القنطرة باشتداد فرقتها وتفريق جماعتها.

وان أردت شاهدًا على ما أقول فانظر إلى الفئة الواحدة كيف صارت أوزاعًا وتحولت أشتاتًا وامتلأت قلوبهم بالعداوة وأوغرت صدورهم بالأحقاد؟! ونزلت أزمة مزمنة ربما لم تمر بالمسلمين على طول زمانهم نسأل الله النجاة.

لقد ذكرني هذا بحديث أَبي هُرَيْرَةَ رَضيَ اللَّه عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: "لا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتلَ فئَتَان، دَعْوَاهُمَا وَاحدَةٌ" (رواه البخاري: (٦٩٣٥)).

حقًّا إنَّ الْعَصَبيَّةَ مَكْمَنُ فُرْقَة، وَمَجْمَعُ غَوَائل، وَمَنْبَعُ رَذَائل، وَأَصْلُ جُمُود وَسَبَبُ هُمُود وَخُمُود؛ فَتَحْسَبُ أَهْلَهَا أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ.

بَلْ هيَ شَرٌّ مُسْتَطيرٌ، وَغَنيمَةٌ بَاردَةٌ لكُلِّ عَدُوٍّ شَانئ، وَظَفَرٌ للْخُصُوم بلا عَنَاء، وَفي الْجُمْلَة فَهيَ بَأْسٌ شَديدٌ بَيْنَ الْمُسْلمينَ فَاعْتَبرُوا يَا أُولي الأَبْصَار.

ونواصل معكم اللقاء في الحلقة القادمة بإذن الله تعالى



الحلقة الثانية

الإحسان إلى اليتيم خلق كريم

إعداد/ صلاح عبد الخالق

الحمد لله ذي الجلال والإكرام، والصلاة والسلام على أفضل الأيتام، وبعد:

توقفنا في اللقاء السابق عند الحديث عن التحذير والترهيب من الإساءة للأيتام ونكمل الحديث في هذا العدد

الإحسان العملي للأيتام:

طرق الإحسان والرعاية للأيتام كثيرة نذكر منها:

١- الإصلاح لهم: قال تعالى: «وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ» (البقرة: ٢٢٠)، وقَوْلُهُ: «قُلْ إِصْلاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» فيه وُجُوهٌ أَحَدُهَا: قَالَ الْقَاضِي: هَذَا الْكَلَامُ يَجْمَعُ النَّظَرَ في صَلاحِ مَصَالِحِ الْيَتِيمِ بِالتَّقْوِيمِ وَالتَّأْدِيبِ وَغَيْرِهِمَا، لِكَيْ يَنْشَأَ عَلَى عِلْمٍ وَأَدَبٍ وَفَضْلٍ لأَنَّ هَذَا الصُّنْعَ أَعْظَمُ تَأْثِيرًا فِيهِ مِنْ إِصْلاحِ حَالِهِ بِالتِّجَارَةِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ أَيْضًا إِصْلاحُ مَالِهِ كَيْ لاَ تَأْكُلَهُ النَّفَقَةُ مِنْ جِهَةِ التِّجَارَةِ. (مفاتيح الغيب: ٦/٤٠٤).

٢- كُنْ لِلْيَتِيمِ كالأب الرَّحِيمِ- قَالَ دَاوُدُ: "كُنْ لِلْيَتِيمِ كَالأَبِ الرَّحِيمِ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ كَمَا تَزْرَعُ كَذَلِكَ تَحْصُدُ. (صحيح الأدب المفرد (١/٧٥)).

٣- أدِّبِ اليتيم مثل ابنك:

عَنْ أَسْمَاءَ بْنِ عُبَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ لابْنِ سِيرِينَ: عِنْدِي يَتِيمٌ؟ قَالَ: "اصْنَعْ بِهِ مَا تَصْنَعُ بِوَلَدِكَ؛ اضْرِبْهُ مَا تَضْرِبُ وَلَدَكَ". (صحيح الأدب المفرد (١/٧٥)).

٤- امْسَحْ بِرَأْسِه، وَالْطُفْ بِه:

- عن أَبِي الدَّرْدَاءِ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّه صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: أَدْنِ الْيَتِيمَ مِنْكَ، وَامْسَحْ بِرَأْسِهِ، وَالْطُفْ بِهِ. (صحيح الجامع (٢٥٠)).

- امسح رأسه، اقترب منه، ابتسم له، طيّب خاطره، أدخل البهجة على روحه الظامئة، بكلمة، بلمسة، ببسمة، إنّ العلاقات الإنسانيّة تحقق كلّ مجد لها حين تُضفي على هذا اليتيم المحروم من حنانها ودفئها.

٥- أطْعِمْهُ مِنْ طَعامك-

أ- قال تعالى: «وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا» (الإنسان: ٨-٩).

ب- عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: أتى النبيَّ صلى الله عليه وسلم رجلٌ يشكو قسوةَ قلبِه قال: "أتُحبُّ أنْ يلينَ قلبُك، وتُدرِكَ حاجَتَك؟ ارْحَم اليتيمَ، وامسَحْ رأسَه، وأطْعِمْهُ مِنْ طَعامِك؛ يَلِنْ قلبُكَ، وتُدرِكْ حاجتَكَ" (صحيح الترغيب (٢٥٤٤)).

ج- عن أبي بَكْرِ بْنُ حَفْصٍ (أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بنَ عمر رضي الله عنهما كَانَ لاَ يَأْكُلُ طَعَامًا إِلاَّ وَعَلَى

خوَانِه يَتيمٌ) (صحيح الأدب المفرد (١/٧٥))
والخوان: هو مائدة الطعام.

هذا الإطعام كل بحسب قدرته ويكون خالصًا لوجه الله.

٦- كفالة اليتيم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم: «كَافِلُ الْيَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِه، أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ فِي الْجَنَّة» وَأَشَارَ مَالِكٌ بِالسَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى (صحيح مسلم (٢٩٨٣)).

أ- كفالة اليتيم هي القيام بما يُصلحه في دينه ودنياه بما يُصلحه في دينه من التربية والتوجيه والتعليم وما أشبه ذلك وما يُصلحه في دُنياه من الطعام والشراب والمسكن. (شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (١/٣١١)).

ب-(كَافِل الْيَتِيم) الْقَائِم بِأُمُورِهِ مِنْ نَفَقَة وَكِسْوَة وَتَأْدِيب وَتَرْبِيَة وَغَيْر ذَلِكَ، وَهَذِهِ الْفَضِيلَة تَحْصُل لِمَنْ كَفَلَهُ مِنْ مَال نَفْسه، أَوْ مِنْ مَال الْيَتِيم بِوِلَايَةٍ شَرْعِيَّة. وَأَمَّا قَوْله (لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ) فَالَّذِي لَهُ أَنْ يَكُون قَرِيبًا لَهُ كَجَدِّهِ وَأُمّه وَجَدَّته وَأَخِيهِ وَأُخْته وَعَمّه وَخَاله وَعَمَّته وَخَالَته وَغَيْرهمْ مِنْ أَقَارِبه، وَالَّذِي لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُون أَجْنَبِيًّا. (شرح النووي (٩/٣٦٧)).

٧- المحافظة على ماله:

أ- قال تعالى: «وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ» (الأنعام: ١٥٢).

ب- قال تعالى: «وَآتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا» (النساء: ٢).

- أما الولاية على المال فتقتضي المحافظة على أموال الطفل اليتيم بخاصة لكونه عديم التجربة في الحياة، ولم يكتمل بعد بناؤه الجسمي والاجتماعي والنفسي والعقلي، فلو تركت له حرية التصرف في ماله فقد يضيعه في شهواته ونزواته وحماقته وجهله، وعندما يبلغ ويصبح رشيداً لا يجده وهو في أمس الحاجة إليه، والولي الذي له حقُّ القوامة على مال اليتيم، هو الوصي من قبل الأب وإذا لم يكن ثمة وصي فعلى ولي الأمر أن يُعين من يثق في أمانته ودينه وحفظه للمال، حيث يلزمه المحافظة على أموال اليتيم، واستثمارها وإخراج الزكاة عنها، وبعد ذلك إعادتها له عند الرشد. (فضل كفالة اليتيم للسدحان (١/١٩)).

يُتم رغم وجود الوالدين! (يُتم تربوي):

١- قال ابن منظور لسان العرب (١٢/٦٤٥): أصل اليُتْم الغفْلة، وسمي اليَتيمُ يَتيماً لأنه يُتَغافَلُ عَنْ بَرِّه.

- فكل من تغافل عنه وأُهمل تربيته ورعايته فهو يتيم وإن وجد له والدين يعيشون بين الناس.

٢- يقول أمير الشعراء شوقي رحمة الله عليه:

لَيْسَ الْيَتِيمُ مَنِ انْتَهَى أَبَوَاهُ
مِنْ هَمِّ الْحَيَاةِ وَخَلَّفَاهُ ذَلِيلا
إِنَّ الْيَتِيمَ هُوَ الَّذِي تَلْقَى لَهُ
أُمًّا تَخَلَّتْ أَوْ أَباً مَشْغُولا

٣- لا شك أن " الأسرة " هي أخطر مؤسسة تربوية، وأن " الوالد " يتحمل المسئولية الكاملة عن التوجيه التربوي لأهله وولده، فإن فسد القوَّامُ؛ عمَّ الفسادُ جميعَ الأقوام، وإن أخلَّ بواجباته التربوية صار هو الحاضر الغائب، وتساوى أبناؤه مع " اليتامى.

أسباب اليُتم التربوي:

١- غيابُ الدور الأبوي: غيابُ الدور الأبوي إمَّا أن يكونَ غيابًا معنويًا أو حسيًّا، أو غيابَ القدوة الصالحة:

أ- فغيابُهُ-الدور الأبوي- معنوي؛ يُصبحُ وجودُهُ كعدمه، فقط يقتصرُ دورُه على توفير الحاجات وتلبية الطلبات وتنفيذ الرغبات ويَرى أنَّهُ قد أحسن صُنعًا تجاهَ أُسرته وأولاده، فلا مُناصحة للأبناء، ولا متابعةَ لهم، ولا محاسبةَ لأفعالهم.

ب- وإمَّا أن يكون غيابُهُ حسيًّا؛ فهو إمَّا أن يكون صاحبَ أسفارٍ وجولات، وإمَّا أن

يكون صاحبَ مقاهٍ واستراحات أو سهرات مع الأصدقاءِ لمتابعةِ القنواتِ الفاسدات، أو صاحبَ زوجةٍ ثانية، فيتخلى عن الأولى وعن متابعةِ أولاده منها.

ج- أو يكون غيابَ القدوةِ الصالحة؛ فلا تكادُ تسمعُ منهُ إلا عبارات الشجب والاستنكار، أو السبَ والاستحقار يتعاطى الدُخانَ أمام أبنائه وبناته، يتخلفُ عن الصلاة، يُعاقرُ المحرمات، يستهينُ بالواجبات، فيا تُرى ما حالُ الأبناء المساكين مع هذا الأب؟!

إذا كان محلُ القدوةِ بهذه المثابةِ فكيف سيكون الأبناء؟! إذا كان محلُ الأسوةِ بهذا السلوك كيف يستقيم الأبناء؟!! (موسوعة خطب المنبر (١/ ٤١٨٠)).

من كوارث اليُتم التربوي:

١- اليُتم هذا ولَّد جيلاً منحرفًا يتلقى قدواته من السافلين والسافلات ممن صنع منهم الإعلام أبطالاً ونجومًا.

٢- هذا اليُتم ولَّد شبابًا تائهًا في دروب الانحراف والرذيلة، لا يلقى مُوجها ولا يَجد مُحاسبًا ولا مُعاتبًا.

٣- هذا اليُتم ضحاياه بنات في عمر الزهور وقعن في شراك المعاكسات، وانتهى بهن المطاف إلى نهاية أليمة وعواقب وخيمة.

٤- هذا اليُتم ضحاياه شباب صغار أدمنوا التدخين وتورطوا في انحرافات خُلقية؛ لأنهم فقدوا من يسأل عنهم وهو حيّ.

٥- هذا اليُتم ضحاياه جيل من شباب الأمة غرق في وحل المخدرات ومستنقع الشهوات.

٦- ضحايا هذا اليُتم أبناءٌ أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات؛ لأنهم لم يظفروا بالولي الذي يُخاطبهم قائلاً: «يا بنيَّ أقم الصلاة».

٧- ضحايا هذا اليُتم طلاب فاشلون في حياتهم الدراسية والعملية.

هذا اليُتم صنعه الآباء يوم أن شُغلوا عن بيوتهم. (موسوعة خطب المنبر (١/ ٤١٣٩)).

نداء عاجل إلى الوالدين:

١- قال تعالى: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ » (التحريم: ٦).

- أي: يا من صدقتم بالله ورسوله وأسلمتم وجوهكم لله، احفظوا أنفسكم، وصونوا أزواجكم وأولادكم، من نار حامية مستعرة، وذلك بترك المعاصي وفعل الطاعات وبتأديبهم وتعليمهم قال مجاهد: أي اتقوا الله، وأوصوا أهليكم بتقوى الله وقال الخازن: أي مروهم بالخير وانهوهم عن الشر، وعلموهم وأدبوهم حتى تقوهم بذلك من النار، والمراد بالأهل النساءُ والأولاد وما ألحق بهما. (صفوة التفاسير (٣/ ٣٨٦)).

٢- عَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَنَّهُ قَالَ: «أَلاَ كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَالأَمِيرُ الَّذِي عَلَى النَّاسِ رَاعٍ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ، وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُمْ، وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ بَعْلِهَا وَوَلَدِهِ، وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْهُمْ، وَالْعَبْدُ رَاعٍ عَلَى مَالِ سَيِّدِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْهُ، أَلاَ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ» (البخاري (٨٩٣)، ومسلم (١٨٢٩)).

- الرَّاعِي هُوَ: الْحَافِظُ الْمُؤْتَمَنُ الْمُلْتَزِمُ صَلاَحَ مَا اؤْتُمِنَ عَلَى حِفْظِهِ فَهُوَ مَطْلُوبٌ بِالْعَدْلِ فِيهِ وَالْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِ. (فتح الباري (١٣/ ١١٢)).

- على الوالدين تَحمل مسئولية تربية الأبناء التربية الإسلامية كل حسب توزيع النبي صلى الله عليه وسلم، وليعلموا أنهم سيحاسبون أمام الله يوم القيامة عن ذلك.

- على الراعي (أبًا كان أو أُمًّا، أو....): أن يستحضر هذه المسئولية والسؤال إذا كان في الآخرة؛ فإنه يكون من الله تعالى، ولابد أن يكون ذلك السؤال سؤال مناقشة عن هذه الرعية:لماذا أهملتها؟ ولماذا أضعت من اؤتمنت عليه؟ ولماذا لم تنصح لها؟ ولماذا لم تولها حق الحفظ وحق المراقبة؟ فهذه المناقشة لابد أن يُعد لها جواباً، فكل سؤال يحتاج إلى جواب، والأسئلة كثيرة، والناقد بصير. (دروس للشيخ ابن جبرين (١١/ ٣)).

الحمد لله رب العالمين.



حمـــاية أبنـــاء الموحدين

إعداد/ الشيخ صفوت نور الدين
رحمه الله

الحمد لله الواحد الأحد، الذي لم يَلد، ولم يُولد، ولم يكن له كفوًا أحد، الذي خلق فسوى، والذي قدر فهدى، والذي بعث الرسل مبشرين ومنذرين، فدعوا الناس إلى أن يعرفوا ربًا خلقهم فيعبدوه، ولا يشركوا معه أحدًا، فقال: «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ» (الذاريات: ٥٦-٥٨).

والصلاة والسلام على الهادي البشير النذير الذي اصطفاه ربه، فأيده برسالته، فدعا الناس لدين الله، فهدى الله به من الكفر، وبصَّر به من العمى، وأرشد من الغواية، ورفع الله به من الخسة، وأعلى به من الضعة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه واقتفى أثره وتبع سنته إلى يوم القيامة، وبعد:

الله سبحانه خلق آدم عليه السلام وعلمه التوحيد، وأهبطه إلى الأرض، ولم تكن الأرض خالية من العباد لله رب العالمين، بل إن الملائكة لتقول: «قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ» (البقرة: ٣٠)، أخبرت الملائكة أن الأرض مستغنية عن ذلك المخلوق الجديد الذي يُفسد فيها ويسفك الدماء، بينما الملائكة يسبحون ويقدسون لربهم، فلما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض وأذن الله له بذرية قام فيهم بالإسلام، وعلمهم التوحيد في العبادة ودعاهم إليه، ولكن الشيطان لم يتركهم حتى جعل من بني آدم- بعد عشرة قرون كانت على التوحيد- من يعبد الأصنام، فبعث الله نوحًا عليه السلام يدعو الناس لتوحيد الله ونبذ الشرك، فأطاعه قليل وكذبه الكثير،

فأهلك الله المشركين، وأنجى الموحدين، وجعل الله ذرية نوح عليه السلام هي الباقية.

ومع ذلك خرج من هذه الذرية «ذرية الموحدين» قوم عاد وثمود الذين أشركوا، فعبدوا الأوثان والأصنام من دون الله، فبعث الله إلى عاد هودًا عليه السلام، وإلى ثمود صالحًا عليه السلام يدعوهم إلى التوحيد، فكذبوه ولم يؤمن بهما إلا قليل، فأبقى الله الموحدين، وأهلك المشركين، فخرج من ذريتهم قوم إبراهيم الذين عبدوا الأوثان والكواكب، وعبدوا ملكهم النمرود، وقص رب العزة علينا ذلك ليعلمنا أن الشيطان بوسوسته يُدخل الشرك على أبناء الموحدين.

هذه واحدة، ونضيف إليها أن الرقي المادي والتقدم التقني لا يثبت في قلوب أصحاب الناس التوحيد ولا ينفي عنهم الشرك، ولا يحجبهم عن الشيطان، فالله سبحانه يذكرنا في سورة «الفجر»، فيقول: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ » (الفجر: ٦ - ١٤).

فتلك أمم كانت لها من الحضارات التي لا تزال آثارها إلى اليوم شاهدة بتقدمهم العلمي في تحنيط جثث موتاهم، وبناء معابدهم، والأهرامات التي لا تزال شاهدة على ذلك لم يمنعهم ذلك من وقوع الشرك فيهم، وكذلك أمم الكفر التي غزوا بها بلاد الدنيا، ومع ذلك فهم أمام أصنام صنعوها في معابد يركعون لها ويعبدونها، وفيهم صور من الشرك الكثير الذي لا نتخيله شغلهم بذلك أنهم: « يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ » (الروم: ٧).

وإن أكثر أمم الأرض اليوم تنسب نفسها إلى المسيح عليه السلام يزعمون أنه هو الله، ويزعمون أنه ابن الله، ونسبوا لله صاحبة وولدًا، وقد برأ القرآن الكريم رب العزة عن ذلك بالأسلوب القوي، ثم نفى عن المسيح وأمه كل ذلك، وعرّف الله الخلق بنفسه، وأنه ليس له صاحبة ولا ولد، ولا شريك له، فقال سبحانه:

« إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ ۚ انتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ ۘ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا » (النساء: ١٧١).

وقال سبحانه: « لَّقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » (المائدة: ١٧).

وبين القرآن الكريم خطأ من نسب لله الولد بيانًا قويًا واضحًا، فقال: « وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا (٤) مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (الكهف: ٤، ٥).

وقال سبحانه: « وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا (٨٨) لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا (٩١) وَمَا يَنبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا (٩٢) إِن كُلُّ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتِي الرَّحْمَٰنِ عَبْدًا (٩٣) لَّقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا » (مريم: ٨٨- ٩٤).

وقال في سورة «آل عمران»: « إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٤٥) وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ (٤٦) قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ ۚ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ (٤٧) وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ (٤٩) وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ

وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ » (آل عمران: ٤٥- ٥١).

وسوس الشيطان للناس في كل عصر ليوقعهم في الشرك، حتى كان ذلك أيضًا في الأمة التي بُعث فيها خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، حتى قالوا: « أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ » (ص: ٥)، فكانوا يعبدون الأصنام، وما بعث إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليقول لهم: «قولوا: لا إله إلا الله».

والسؤال المهم: لماذا اختار الشيطان الشرك ذنبًا مشتركًا يوقع الناس فيه؟

والجواب أن الشيطان له هدف مبين في قوله تعالى: « إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ » (فاطر: ٦)، والشرك هو الذنب الذي يحقق للشيطان هدفه، وذلك لأن الشرك:

أولاً: ذنب لا يُغفر؛ لقوله تعالى: « إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ » (النساء: ٤٨).

ثانيًا: أن صاحب الشرك لا يستغفر منه؛ لظنه أنه يُحسن صنعًا؛ كقوله تعالى: « أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ » (ص: ٥- ٧)، والله سبحانه يقول: « وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا ٱلَّذِى بَعَثَ ٱللَّهُ رَسُولًا ﴿٤١﴾ إِن كَادَ لَيُضِلُّنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا لَوْلَآ أَن صَبَرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا » (الفرقان: ٤١، ٤٢).

ثالثًا: أن الشرك يحبط سائر العمل؛ لقوله تعالى: « قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ » (الزمر: ٦٤، ٦٥)، ويقول سبحانه: «إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ » (المائدة: ٧٢)، وقال تعالى: «وَلَوْ أَشْرَكُواْ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ » (الأنعام: ٨٨).

رابعًا: أن الشرك أعظم الظلم، فإن زال ظلم الشرك زال كل ظلم دونه، ولا يزول من المظالم شيء إلا بزوال الشرك: « وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ » (لقمان: ١٣)، وقال سبحانه: « وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ » (يونس: ١٠٦)، ويقول تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ » (السجدة: ٢٢).

فما هو الشرك الذي أوقع الشيطان فيه الأمم السابقة؟

والجواب: أن المشركين لم ينسبوا لمعبوداتهم الخلق، ولا الرزق، ولا شيئًا من صفات الربوبية، إنما كان شركهم في عبادتهم من دون الله، كان شركهم في العكوف عند الأصنام، ودعائها فيما لا يدعى فيه إلا الله، وذلك هو ما يفعله كثير من الجهلة حول القبور اليوم: «فَأَتَوْاْ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ » (الأعراف: ١٣٨)، ويقول تعالى: « وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُواْ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُواْ بَلْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا كَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ » (الشعراء: ٦٩- ٧٤).

فالشرك في كل الأمم السابقة واللاحقة إنما هو العكوف عند القبور المنصوبة والتماثيل ودعائها من دون الله، وهذا هو الظلم الأعظم الذي أرسل الله الرسل للقضاء عليه؛ وهو الظلم الذي إذا زال؛ زال كل ظلم سواه؛ لأن من عرف الله ترك الشرك، ومن عرف الله خافه واجتنب غضبه، فلم يظلم أحدًا.

هذا سبيل الله الذي دعا إليه، وهو سبيل الأنبياء والرسل، فاحذروا السبل التي تزعم أنها تدعو للإسلام وأنها أقصر أو أنجع.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

من صفات المؤمنين

قال الله تعالى: «وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠ أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ» (المؤمنون: ٦٠، ٦١).

من دلائل النبوة

شفاء المرضى على يديه بإذن الله

عن قتادة بن النعمان أنه أُصيبت عينه يوم بدر، فسالت حدقته على وجنته، فأرادوا أن يقطعوها فسألوا النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: لا، فدعا به فغمز حدقته براحته، فكان لا يدري أيّ عينيه أُصيبت. (دلائل النبوة للبيهقي).

من هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم

صيام ست من شوال

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صام رمضان، ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر». (صحيح مسلم).

من فضائل الصحابة

عن إبراهيم: بلغ عليَّ بنَ أبي طالب أن عبد الله بن الأسود ينتقص أبا بكر وعمر فهمَّ بقتله، فقيل له: تقتل رجلاً يدعو إلى حبكم أهل البيت؟ فقال: «لا يساكني في دار أبدًا». (أصول الاعتقاد للالكائي).

من دعائه صلى الله عليه وسلم

عن شكل بن حميد قال: قلت: يا رسول الله! علمني دعاء أنتفع به. قال: «قل: اللهم عافني من شر سمعي، وبصري، ولساني، وقلبي، وشر منيي». قال وكيع: «منيي» يعني: الزنا والفجور. (الأدب المفرد للبخاري)

من نوادر التفاسير

قال ابن أبي الحواريّ: قلت لأبي سليمان: بَلَغني في قول الله تعالى: «إلاَّ مَنْ أَتَى الله بِقَلْبٍ سَلِيم» أنه الذي يلقى ربّه وليس فيه أحد غيره؛ فبكى، وقال: ما سَمعت مذ ثلاثين سنة أحسن من هذا. وقال: كل قلب فيه شرك فهو ساقط. (عيون الأخبار).

إعداد/ علاء خضر

خُلق حسن فالزمه

عن هشام بن عروة عن أبيه، قال: مكتوب في الحكمة «الرِّفق رأس الحكمة». (الزهد لوكيع).

خُلق سيئ فاتركه

عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من عيّر أخاه بذنب لم يمت حتى يعمله» قال أحمد: من ذنب قد تاب منه. (سنن الترمذي).

حكم ومواعظ

إحسان الظن بالله

عن عقبة البزّار قال: رأى أعرابي جنازة فأقبل يقول: هنيئًا يا صاحبها. فقلت: علام تهنّئه؟ قال: كيف لا أهنّئ من يذهب به إلى حبس جواد كريم، نزله عظيم، عفوه جسيم؟ قال: كأنّي لم أسمع القول إلّا تلك السّاعة. (أهوال القبور لابن أبي الدنيا).

خلفاء شهد لهم التاريخ

المتوكل على الله تولى الخلافة ٢٤٧هـ أظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، حتى قال قائلهم: الخلفاء ثلاثة: أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- في قتل أهل الردة، وعمر بن عبد العزيز في رد المظالم، والمتوكل في إحياء السنة وإماتة التجهم.

أحاديث باطلة لها آثار سيئة

«لو أحسن أحدكم ظنه بحجر لنفعه». قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «موضوع»، وقال ابن القيم: «هو من وضع المشركين عباد الأوثان»، وقال ابن حجر: «لا أصل له» (السلسلة الضعيفة للألباني).

من معاني الأحاديث

(بحبح) منه حديث: «من سره أن يسكن بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة» بحبوحة الدار: وسطها. يقال تبحبح إذا تمكن وتوسط المنزل والمقام. (النهاية لابن الأثير).

من أقوال السلف

عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: «إن السنن لا تُخاصَم، ولا ينبغي لها أن تتبع بالرأي والتفكير، ولو فعل الناس ذلك لم يمضِ يوم إلا انتقلوا من دين إلى دين، ولكنه ينبغي للسنن أن تَلزم ويُتمسك بها على ما وافق الرأي أو خالفه». (الفقيه والمتفقه).



صيام ست من شوال وتمام الدهر

إعداد/ المستشار/أحمد السيد علي إبراهيم
وكيل هيئة قضايا الدولة

الحمد لله حمدًا لا ينفد أفضل ما ينبغي أن يحمد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تعبد، أما بعد..

فقد فرض الله على الأمة الإسلامية صيام رمضان، وجعله ركنًا من أركان الإسلام فقال تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «بُنيَ الإسلامُ على خَمْسٍ: شهادةِ أن لا إلهَ إلا اللهُ وأنَّ محمدًا عبدُهُ ورسولُهُ. وإقامِ الصلاةِ. وإيتاءِ الزكاةِ. وحجِّ البيتِ. وصومِ رمضانَ» (رواه البخاري)، وسن لنا نوافل العباداتِ، ليجبر بها نقص الفرائض، ومنها الصيام، فسن لنا صيام ستة أيام من شوال، وجعل صيامها مع صيام رمضان تمام الدهر، ولنا مع صيامها الوقفات الآتية:-

الروايات الواردة في صيام ست من شوال:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ صامَ رمضانَ. ثُمَّ أَتْبَعَهُ ستًّا مِنْ شوَّالٍ. كانَ كصيامِ الدَّهْرِ» (رواه مسلم).

وعنه أيضًا: «من صامَ رمضانَ، ثمَّ أتبعَهُ بستٍّ من شوَّالٍ فذلكَ صيامُ الدَّهرِ» (رواه الترمذي وصححه الألباني).

وعنه أيضًا: «مَن صامَ رمضانَ ثمَّ أتبعَه بستٍّ من شوَّالٍ فكأنَّما صامَ الدَّهرَ» (رواها أبو داود وصححها الألباني) وعنه أيضا: «من صامَ رمضانَ ثمَّ أتبعَه بستٍّ من شوَّالٍ كانَ كصومِ الدَّهرِ» (رواها ابن ماجه وصححها الألباني).

وقد اعتنى ابن القيم رحمه الله في حاشيته على سنن أبي داود بالكلام على طرق الحديث وبيان متابعاته وشواهده، والجواب عن اعتراضات المخالفين له، وأفرد العلائي الكلام على هذا الحديث بجزء مفرد وهو مطبوع.

فإن قيل: كيف أخرج مسلم إذاً حديث هذا الراوي وهو متكلم فيه؟

فجوابه ما قاله ابن القيم وهو: «أن مسلماً إنما احتج بحديثه لأنه ظهر له أنه لم يخطئ فيه بقرائن ومتابعات، ولشواهد دلته على ذلك، وإن كان قد عرف خطؤه في غيره، فكون الرجل يخطئ في شيء لا يمنع الاحتجاج به فيما ظهر أنه لم يخطئ فيه، وهكذا حكم كثير من الأحاديث التي خرجاها وفي إسنادها من تكلم فيه من جهة حفظه فإنهما لم يخرجاها إلا وقد وجدا لها متابعا» اهـ.

حكم صيام ست من شوال:

اختلف الفقهاء في مشروعية صيام الست من شوال على عدة أقوال:

القول الأول: استحباب صيام الست من شوال؛ وهو قول الجمهور، فهو منصوص مذهب

الشافعية والحنابلة، واختاره داود وابن عبد البر وابن تيمية وابن القيم والصنعاني، والشوكاني، وغالب الشراح والمفتين .

القول الثاني: كراهة صيامها؛ وهذا مذهب مالك، وبه قال أبو يوسف، واختاره عبد الرزاق.

دليله: الأول: أن حديث أبي أيوب لم يبلغهم، أو أنه بلغهم ولم يصح عندهم.

القول الثالث: جواز صيامها بعد رمضان ولا تتعين أن تكون في شوال؛ وهذا مذهب بعض متأخري المالكية كابن العربي، والقرافي، والشبيبي، وجعله ابن مفلح احتمالا.

دليله: الأول: دلالة حديث ثوبان رضي الله عنه: (من صام ستة أيام بعد الفطر كان تمام السنة)، فيشمل الصيام بعد الفطر ولو كان بعد شهر شوال.

الثاني: أن صيام الست مع صيام رمضان كان كصيام السنة لأن الحسنة بعشر أمثالها، فرمضان ثلاثون يومًا عن ثلاثمائة يوم، والست عن ستين، فيكون مجموعها عن ثلاثمائة وستين يومًا قريبًا من عدد أيام السنة، وكون الحسنة بعشر أمثالها يستوي فيه الصيام في شوال وفي غيره.

الثالث: أن شوال ذكر في الحديث تعجيلاً للمبادرة في العمل وانتهازًا للفرصة خشية الفوات لا تقييدًا في شوال، أو تخفيفًا على المكلف بسبب قربه من الصوم وإلا فالمقصود حاصل في غيره.

القول الراجح:

هو القول الأول القائل باستحباب صيام تلك الأيام من شوال، لقوة أدلتهم، وهذا ما أيدته اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية .

فوائد صيامها:

في مواصلة الصيام بعد رمضان فوائد عديدة، يجد بركتها أولئك الصائمون لهذه الست من شوال. ومن هذه الفوائد ما ذكره الحافظ ابن رجب- رحمه الله - في كتابه " لطائف المعارف ":

أولاً: أن صيام ستة أيام من شوال بعد رمضان يستكمل بها أجر صيام الدهر كله.

ثانيًا: أن صيام شوال وشعبان كصلاة السنن الرواتب قبل الصلاة المفروضة وبعدها، فيكمل بذلك ما حصل في الفرض من خلل ونقص، فإن الفرائض تجبر أو تكمل بالنوافل يوم القيامة، كما ورد ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة .

ثالثًا: أن معاودة الصيام بعد صيام رمضان علامة على قبول صوم رمضان، فإن الله إذا تقبل عمل عبد وفقه لعمل صالح بعده كما قال بعضهم: ثواب الحسنة الحسنة بعدها، فمن عمل حسنة ثم أتبعها بعد بحسنة كان ذلك علامة على قبول الحسنة الأولى، كما أن من عمل حسنة ثم اتبعها بسيئة كان ذلك علامة رد الحسنة وعدم قبولها.

رابعًا: أن صيام رمضان يوجب مغفرة ما تقدم من الذنوب كما سبق ذكره، وأن الصائمين لرمضان يوفون أجورهم في يوم الفطر وهو يوم الجوائز، فيكون معاودة الصيام بعد الفطر شكرًا لهذه النعمة، فلا نعمة أعظم من مغفرة الذنوب.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده بشكر نعمة صيام رمضان بإظهار ذكره وغير ذلك من أنواع شكره فقال: «وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ» (سورة البقرة: ١٨٥) فمن جملة شكر العبد لربه على توفيقه لصيام رمضان وإعانته عليه ومغفرة ذنوبه أن يصوم له شكرا عقب ذلك، كان بعض السلف إذا وفق لقيام ليلة من الليالي أصبح في نهاره صائما، ويجعل صيامه شكرا للتوفيق للقيام، وكان وهيب بن الورد يسأل عن ثواب شيء من الأعمال كالطواف ونحوه؟، فيقول: " لا تسألوا عن ثوابه ولكن اسألوا ما الذي على من وفق لهذا العمل من الشكر للتوفيق والإعانة عليه "

خامسًا: أن الأعمال التي كان العبد يتقرب بها إلى ربه في شهر رمضان لا تنقطع بانقضاء رمضان، بل هي باقية ما دام العبد حيا، فالعائد إلى الصيام بعد فطره يدل عوده على رغبته في الصيام وأنه لم يمله ولم يستثقله ولا تكره به» اهـ بتصرف

حكم صيامها قبل قضاء ما فات من رمضان:

قال الشيخ خالد بن عبدالله المصلح ردًا على سؤال "حكم صيام ست من شوال قبل قضاء رمضان" بموقعه على الشبكة العنكبوتية: «السؤال: إذا أرادت المرأة أن تصوم الستة من شوال وعليها عدة أيام قضاء من رمضان فهل تصوم أولا القضاء أم لا بأس بأن تصوم الستة من شوال ثم تقضي؟

الجواب: اختلف العلماء في جواز صيام التطوع قبل الفراغ من قضاء رمضان على قولين في الجملة:

الأول: جواز التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان: وهو قول الجمهور إما مطلقاً أو مع الكراهة.

فقال الحنفية: بجواز التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان، لكون القضاء لا يجب على الفور بل وجوبه موسع وهو رواية عن أحمد.

أما المالكية والشافعية فقالوا: بالجواز مع الكراهة، لما يترتب على الاشتغال بالتطوع عن القضاء من تأخير الواجب.

الثاني: تحريم التطوع بالصوم قبل قضاء رمضان: وهو المذهب عند الحنابلة.

والصحيح من هذين القولين هو القول بالجواز؛ لأن وقت القضاء موسع، والقول بعدم الجواز وعدم الصحة يحتاج إلى دليل، وليس هناك ما يعتمد عليه في ذلك.

أما ما يتعلق بصوم ست من شوال قبل الفراغ من قضاء ما عليه من رمضان ففيه لأهل العلم قولان:

الأول: أن فضيلة صيام الست من شوال لا تحصل إلا لمن قضى ما عليه من أيام رمضان التي أفطرها لعذر. واستدلوا لذلك بأن النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قال فيما رواه مسلم من حديث أبي أيوب الأنصاري: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر»، وإنَّما يتحقق وصف صيام رمضان لمن أكمل العدة. قال الهيتمي في تحفة المحتاج (٣/٤٥٧): (لأنها مع صيام رمضان أي: جميعه، وإلا لم يحصل الفضل الآتي وإنَّ أفطر لعذر). وقال ابن مفلح في كتابه الفروع (٣/١٠٨): (يتوجه تحصيل فضيلتها لمن صامها وقضى رمضان وقد أفطره لعذر، ولعله مراد الأصحاب، وما ظاهره خلافه خرج على الغالب المعتاد، والله أعلم). وبهذا قال جماعة من العلماء المعاصرين كشيخنا عبد العزيز بن باز وشيخنا محمد العثيمين رحمهما الله.

الثَّاني: أن فضيلة صيام السِّت من شوال تحصل لمن صامها قبل قضاء ما عليه من أيام رمضان التي أفطرها لعذر، لأنَّ من أفطر أياماً من رمضان لعذر يصدق عليه أنه صام رمضان فإذا صام السِّت من شوال قبل القضاء حصل ما رتبه النَّبي صلى الله عليه وسلم من الأجر على إتباع صيام رمضان ستاً من شوال. وقد نقل البجيرمي في حاشيته على الخطيب بعد ذكر القول بأن الثواب لا يحصل لمن قدم الست على القضاء محتجاً بقول النبي صلى الله عليه وسلم ثم أتبعه ستاً من شوال (٢/٣٥٢) عن بعض أهل العلم الجواب التالي: (قد يقال التبعية تشمل التقديرية لأنَّه إذا صام رمضان بعدها وقع عما قبلها تقديراً، أو التبعية تشمل المتأخرة كما في نفل الفرائض التَّابع لها. اهـ. فيسن صومها وإن أفطر رمضان). وقال في المبدع (٣/٥٢): (لكن ذكر في الفروع أنَّ فضيلتها تحصل لمن صامها وقضى رمضان وقد أفطر لعذر ولعله مراد الأصحاب، وفيه شيء).

والذي يظهر لي أن ما قاله أصحاب القول الثاني أقرب إلى الصواب؛ لاسيما وأن المعنى الذي تدرك به الفضيلة ليس موقوفاً على الفراغ من القضاء قبل السِّت فإن مقابلة صيام شهر رمضان لصيام عشرة أشهر حاصل بإكمال الفرض أداء وقضاء وقد وسع الله في القضاء فقال: «فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ» (البقرة: ١٨٥)، أما صيام الست من شوال فهي فضيلة تختص هذا الشهر تفوت بفواته. ومع هذا فإن البداءة بإبراء الذمة بصيام الفرض أولى من الاشتغال بالتطوع. لكن من صام الست ثم صام القضاء بعد ذلك فإنه تحصل له الفضيلة إذ لا دليل على انتفائها، والله أعلم». اهـ.

هل تصام متتابعة أم متفرقة؟

رأى الشيخ ابن باز - رحمه الله - في " مجموع فتاوى ومقالات متنوعة ": أن شهر شوال كله محل لصيام الست.

وقد سئل: هل يجوز للإنسان أن يختار صيام ستة أيام في شهر شوال، أم أن صيام هذه الأيام لها وقت معلوم؟ وهل إذا صامها تكون فرضاً عليه؟

فأجاب: ثبت عن رسول الله - صلى الله عليه

وسلم - أنه قال: " من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر " خرجه الإمام مسلم في الصحيح، وهذه الأيام ليست معينة من الشهر بل يختارها المؤمن من جميع الشهر، فإذا شاء صامها في أوله، أو في أثنائه، أو في آخره، وإن شاء فرقها، وإن شاء تابعها، فالأمر واسع بحمد الله، وإن بادر إليها وتابعها في أول الشهر كان ذلك أفضل؛ لأن ذلك من باب المسارعة إلى الخير، ولا تكون بذلك فرضاً عليه، بل يجوز له تركها في أي سنة، لكن الاستمرار على صومها هو الأفضل والأكمل؛ لقول النبي - صلى الله عليه وسلم: " أحب العمل إلى الله ما داوم عليه صاحبه وإن قل " والله الموفق». اهـ.

وقال الشيخ ابن العثيمين - رحمه الله - في " كتاب الدعوة ": «السؤال: هل هناك أفضلية لصيام ست من شوال؟ وهل تصام متفرقة أم متوالية؟

الجواب: نعم، هناك أفضلية لصيام ستَّة أيام من شهر شوال، كما جاء في حديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: " من صام رمضان ثم أتبعه بست من شوال كان كصيام الدهر " رواه مسلم في كتاب الصيام بشرح النووي (٨/٥٦)، يعني: صيام سنة كاملة.

وينبغي أن يتنبه الإنسان إلى أن هذه الفضيلة لا تتحقق إلا إذا انتهى رمضان كله، ولهذا إذا كان على الإنسان قضاء من رمضان صامه أولاً ثم صام ستاً من شوال، وإن صام الأيام الستة من شوال ولم يقض ما عليه من رمضان فلا يحصل هذا الثواب سواء قلنا بصحة صوم التطوع قبل القضاء أم لم نقل، وذلك لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: " من صام رمضان ثم أتبعه... " والذي عليه قضاء من رمضان يقال صام بعض رمضان ولا يقال صام رمضان، ويجوز أن تكون متفرقة أو متتابعة، لكن التتابع أفضل، لما فيه من المبادرة إلى الخير وعدم الوقوع في التسويف الذي قد يؤدي إلى عدم الصيام». اهـ.

هل يجوز قضاؤها في غير شوال؟

قال فضيلة الشيخ عبدالرحمن السعدي في " الفتاوى السعدية ": «حكم قضاء ستة شوال في ذي القعدة

السؤال: إذا صام ستة أيام من شوال في ذي القعدة، فهل يحصل له الأجر الخاص بها؟

الجواب: الحمد لله: أما إن كان له عذر من مرض أو حيض أو نفاس أو نحو ذلك من الأعذار التي بسببها أخر صيام قضائه أو أخر صيام الست، فلا شكَّ في إدراك الأجر الخاص، وقد نصُّوا على ذلك. وأما إذا لم يكن له عذر أصلاً، بل أخر صيامها إلى ذي القعدة أو غيره، فظاهر النَّص يدل على أنَّه لا يدرك الفضل الخاص، وأنَّه سنة في وقت فات محله، كما إذا فاته صيام عشر ذي الحجة أو غيرها حتى فات وقتها، فقد زال ذلك المعنى الخاص، وبقي الصيام المطلق» اهـ.

وقال العلامة ابن باز رحمه الله: ولا يشرع قضاؤها بعد انسلاخ شوال، لأنها سنة فات محلها، سواء تركت لعذر أو لغير عذر.

وقال أيضاً رحمه الله: صيام الأيام الستة من شوال عبادة مستحبة غير واجبة، فلك أجر ما صمت منها، ويرجى لك أجرها كاملة إذا كان المانع لك من إكمالها عذراً شرعياً، لقول النبي صلى الله عليه وسلم: إذا مرض العبد أو سافر كتب الله له ما كان يعمل مقيماً صحيحاً. رواه البخاري في صحيحه. وليس عليك قضاء لما تركت منها. انتهى.

وذهب بعض أهل العلم إلى أن من فاته الست من شوال أو شيء منها فإنَّه يقضيه في ذي القعدة.

جاء في نهاية الزين من كتب الشافعية: وتفوت بفوات شوال ويسن قضاؤها.

وفي حواشي تحفة المحتاج: قوله سن له صوم ست من ذي القعدة، لأن من فاته صوم راتب يسن له قضاؤه. أفتى بذلك شيخنا الشهاب الرملي حكماً وتعليلاً. انتهى.

وعلى هذا القول فالمشروع لك لتحصيل كمال الأجر هو أن تقضي ذلك اليوم الذي فاتك بسبب الحيض». اهـ.

والله الموفق.

فتاوى

حكم من لم يخرج زكاة الفطر حتى صلى العيد

السؤال:

بالطلب المقدم من السيد /أ. م.ع- المصري الذي يعمل بالسعودية المتضمن أن السائل صام شهر رمضان الماضي بالسعودية، وذهب في الأسبوع الأخير منه إلى مكة، وقام بأداء العمرة- وأراد إخراج زكاة الفطر.

فسأل أحد السعوديين عن كيفية إخراجها فقال له: أخرجها ليلة العيد، وقبل العيد بيوم ذهب السائل إلى الرياض لقضاء عطلة العيد مع صديق له مصري سبقه بعام للمملكة السعودية، وفي الساعة الثانية عشرة مساء ليلة العيد علم السائل أن العيد سيكون صباح اليوم التالي، فسأل صديقه المصري: أين يخرج الزكاة؟ فقال له عند ذهابنا لصلاة العيد في الخلاء ستجد كثيرين جالسين في الطريق لأخذ الزكاة من الناس فتعطي منهم من تشاء. وفي الصباح ذهب للصلاة ولكنه فوجئ بعدم وجود أحد في الطريق إطلاقًا، ونتج عن هذا عدم إخراج الزكاة المقررة. وطلب السائل بيان الحكم الشرعي في هذا الموضوع. وهل يخرج الزكاة أم أنها أسقطت عنه؟ وهل تجب كفارة عليه؟ أم ماذا يصنع؟

الجـــواب: المـقـرر في فقه الحنفية أن زكاة الفطر تجب بطلوع فجر يوم العيد (عيد الفطـر)، ويستحب للناس أن يُخرجوا هذه الزكاة صباح يوم الفطر قبل صلاة العيد، إغناءً للفقراء والمساكين في يوم العيد عن السؤال، فإن قدموها قبل يوم الفطر جاز، وإن أخروها عن يوم الفطر لم تسقط عنهم، وكان واجبًا عليهم إخراجها؛ لأنها قُربة مالية تثبت بالذمة فلا تسقط بعد الوجوب إلا بأداء كالزكاة، وهذا باتفاق فقهاء المذاهب، وعلى هذا فيجب على السائل شرعًا أن يُخرج زكاة الفطر الواجبة عليه؛ لأنها صارت دينًا في ذمته.

والظاهر من السـؤال أن تـأخيره في دفعها لمستحقيها كان بعذر، فنرجو ألا يأثم في ذلك.

ومن هذا يعلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المفتي: الشيخ جاد الحق علي جاد الحق، رحمه الله)

حكم إخراج زكاة المال قبل موعدها

السؤال:

من السيد/ع. أ. د. من السودان بطلبه المتضمن أن السائل يريد أن يعرف حكم الشرع في الأمور الآتية:

١- هل يجوز أن أقـدر زكـاة المال المفروضة من المولى عز وجل في كل سنة مع الإحاطة بأن السائل يشتغل في التجارة، ولا يتمكن من الجرد في كل سنة مما يترتب عليه تأخره في إخراج زكاة ماله في الوقت المحدد لها.

٢- هل يجوز خصم الضريبة التي



تُدفع للدولة وهي ضريبة أرباح تأخذها الدولة سنويًا من صافي الأرباح الناتجة عن الأعمال التجارية.

٣- هل يجوز إخراج الزكاة قبل الموعد المحدد لها أي قبل حولان الحول لمن طلب قضاء حاجته من المحتاجين؟

الجواب:

١- أما عن السؤال الأول والثاني فالمقرر شرعًا أنه يجب على من يشتغل بالتجارة أن يجرد بضاعته وأمواله السائلة وأرباحه ويخرج عنها كلها الزكاة بشرط حولان الحول عليها جميعًا- ولا يخصم منها ضريبة الدولة التي تأخذها عن الأرباح؛ لأن حق الدولة لا يحول دون حق الله؛ ولأن الزكاة تخرج عن كل المال وعروض التجارة أي أن الضريبة لا تخصم من المقدار الواجب إخراجه زكاة.

٣- أما عن السؤال الثالث فلا مانع شرعًا من إخراج الزكاة قبل الموعد المحدد لها متى تحقق السبب، وهو ملك النصاب وقبل حولان الحول عليها ولا سيما إذا كانت لقضاء حاجة محتاج إليها، ويعتبر هذا تعجيلاً للواجب عليه، ومسارعة إلى الخير، وتحقيقًا لغرض من الأغراض التي شُرعت من أجلها الزكاة، وهو سد خلة المحتاج- ولو سارع كل مسلم إلى أداء ما فرض الله عليه وأدى ما أوجبه عليه على الوجه الأكمل لتغير حال المسلمين ولأصبحوا في حالة أفضل من الحالة التي هم عليها الآن، ولعظم شأنهم ووصلوا إلى مدارج الكمال.

ومن هذا يعلم الجواب إذا كان الحال كما ذكر بالسؤال. والله سبحانه وتعالى أعلم.

(المفتي: الشيخ محمد خاطر، رحمه الله)

من فتاوى اللجنة الدائمة

حكم دفع الزكاة للأخت الفقيرة

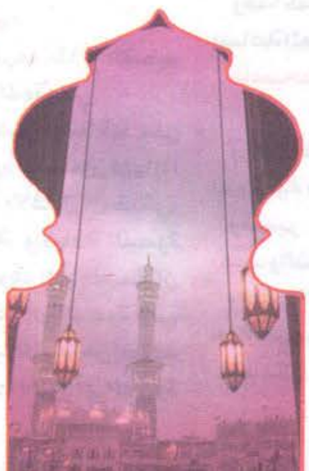
س: إذا كان لإنسان أخت شقيقة متزوجة من إنسان فقير الحال، فهل يجوز لها من زكاة إخوانها شيء؟

ج: نفقة المرأة واجبة على زوجها، فإذا كان فقيرًا، فلإخوان زوجته أن يعطوه من زكاة أموالهم لينفق منها على نفسه وزوجته ومن يعول، ولإخوان هذه الزوجة أن يعطوا أختهم من زكاة أموالهم لتنفق منها على نفسها وزوجها الفقير وأولاده، بل هذه الزوجة إذا كان لها مال وجبت فيه الزكاة فلها أن تعطي زكاة مالها لزوجها لينفق منها على من يعولهم. وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. (الفتوى رقم: ٢٧٨).

حكم التسول

س: ما حكم شحذ الناس، أرجو التفصيل، متى يجوز ومتى لا يجوز؟

ج: تحرم المسألة إلا من سلطان أو في أمر لا بد منه؛ كإصابة المسلم بحاجة أو تحمله حمالة ونحو ذلك، قال عليه الصلاة والسلام: «المسألة كدّ يكد بها الرجل وجهه، إلا أن يسأل الرجل سلطانًا أو في أمر لا بد منه» (أخرجه أحمد وأبو داود والترمذي). وقال صلى الله عليه وسلم لقبيصة: «إن المسألة لا تحل إلا لأحد ثلاثة: رجل تحمل حمالة فحلت له المسألة حتى يصيبها ثم يمسك، ورجل أصابته جائحة اجتاحت ماله فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش، ورجل أصابته فاقة حتى يقول ثلاثة من ذوي الحجى من قومه: لقد أصابت فلانًا حاجة، فحلت له المسألة حتى يصيب قوامًا من عيش،- أو قال- سدادًا من عيش، فما سواهن من المسألة يا قبيصة فسحت يأكله صاحبه سحتًا» (رواه مسلم). وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. (الفتوى رقم: ٨١٣٠).



دراسات قرآنية

الأمثال في القرآن

«مثل الذين يدعون من دون الله»

إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعدُ:

ففي هذا المقال نتحدث عن مثل آخر من الأمثال في القرآن، وهو قول الله تعالى: «لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ» (الرعد:١٤).

المعنى الإجمالي:

هذا مثل ضربه الله تبارك وتعالى أن الذي يدعو من دون الله الوثن والحجر لا يستجيب له بشيء أبدًا في الدنيا، ولا يسوق إليه خيرًا، ولا يدفع عنه سوءا، حتى يأتيه الموت كمثل الذي بسط ذراعيه إلى الماء ليبلغ فاه ولا يبلغ فاه ولا يصل ذلك إليه حتى يموت عطشًا. رواه ابن جرير.

والآية الكريمة تفيد إخباره تبارك وتعالى أن له دعوة الحق بعبادته وحده الذي يجيب دعاء الداعي دون غيره من المعبودات بقوله: «لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ» (الرعد:١٤)، فهو الإله الحق الذي بيده خزائن السماوات والأرض، فيجيب سائله لما فيه نفعه وصلاحه في دينه ودنياه وآخرته، ويدفع عنه الضر والشر. (تفسير القرآن بالقرآن، لأحمد بن عبد الرحمن القاسم).

المعنى التفصيلي:

قوله تعالى: «لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ» (الرعد:١٤)، الضمير في «له» عائد على اسم الله تبارك وتعالى.

و«الدعوة» طلب الإقبال، وكثرة إطلاقها على طلب الإقبال للنجدة أو للبذل، وذلك متعين فيها إذا أطلقت في جانب الله لاستحالة الإقبال الحقيقي، فالمراد طلب الإغاثة أو النعمة، وإضافة الدعوة إلى الحق إما من إضافة الموصوف إلى الصفة إن كان الحق بمعنى مصادفة الواقع، أي الدعوة التي تصادف الواقع، أي استحقاقه إياها، وإما من إضافة الشيء إلى منشئه كقولهم: برود اليمن، أي الدعوة الصادرة عن حق وهو ضد الباطل، فإن دعاء الله يصدر عن اعتقاد الوحدانية وهو الحق، وعبادة الأصنام تصدر عن اعتقاد الشرك وهو الباطل، واللام للمُلك المجازي وهو الاستحقاق، وتقديم الجار والمجرور على المبتدأ لإفادة التخصيص، أي دعوة الحق ملكه لا ملك غيره، وهو قصر إضافي.

وقد صُرح بمفهوم جملة القصر بجملة «وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ» (الرعد:١٤)، فكانت بيانًا لها، وكان مقتضى الظاهر أن تُفصل ولا تُعطف، وإنما عُطفت لما فيها من التفصيل والتمثيل، فكانت زائدة على مقدار البيان، والمقصود بيان عدم استحقاق الأصنام أن يدعوها الداعون.

واسم الموصول صادق على الأصنام، وضمير «يدعون» للمشركين، ورابط الصلة ضمير نصب محذوف.

والمراد بـ «باسط كفيه» من يغترف ماء بكفين مبسوطتين غير مقبوضتين؛ إذ الماء لا يستقر فيهما.

وهذا كما يقال: هو كالقابض على الماء، في تمثيل إضاعة المطلوب، وأنشد أبو عبيدة:

فأصبحت فيما كان بيني وبينها
من الودّ مثل القابض الماء باليد

و«إلى» للانتهاء لدلالة «باسط» على أنه مدّ إلى الماء كفيه مبسوطتين، واللام في «ليبلغ» للعلة.

وضمير «يبلغ» عائد إلى الماء، وكذلك ضمير «هو»، والضمير المضاف إليه في «بالغه» للفم.

ومعنى الكلام: والذين يدعونهم الكفار في حوائجهم ومنافعهم لا يجيبون بشيء.

ثم مثّل تعالى مثالا لإجاباتهم بالذي يبسط

كفيه نحو الماء ويشير إليه بالإقبال إلى فيه، فهو لا يبلغ فمه أبدًا، فكذلك إجابة هؤلاء والانتفاع بهم لا يقع. (ما سبق مستفاد من المحرر الوجيز لابن عطية (م٥)، والتحرير والتنوير لابن عاشور (م٧».

وقال صديق حسن خان في «فتح البيان»: أعلم الله سبحانه أن دعاءهم الأصنام كدعاء العطشان إلى الماء يدعوه إلى بلوغ فمه، وليس الماء ببالغه، وقيل: إنه كباسط كفيه إلى الماء ليقبض عليه فلا يحصل في كفه شيء منه، وقد ضرب العرب لمن سعى فيما لا يدركه مثلاً بالقبض على الماء، وقال الفراء: إن المراد بالماء هنا ماء البئر؛ لأنها معدن للماء، وأنه شبهه بمن مدَّ يديه إلى البئر بغير رشا.

ضرب الله سبحانه هذا مثلاً لمن يدعو غيره من الأصنام، عن عليّ قال: "كان الرجل العطشان يمد يده إلى البئر ليرتفع الماء إليه وما هو ببالغه"، وعن ابن عباس قال: "هذا مثل المشرك الذي عبَد مع الله غيره، فمثله كمثل الرجل العطشان الذي ينظر إلى خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر عليه. (انتهى من «فتح البيان» ٣/ ٩٤).

قوله تعالى: «وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ»:

هذه الجملة عطف على جملة: «والذين يدعون من دونه» لاستيعاب حال المدعو وحال الداعي، فبينت الجملة السابقة حال عجز المدعو عن الإجابة، وأعقبت بالتمثيل المشتمل على كناية وتلميح، واشتمل ذلك أيضًا بالكناية عن خيبة الداعي.

وبينت هذه الجملة الثانية حال خيبة الداعي بالتصريح عقب تبينه بالكناية، فباختلاف الفرض والأسلوب حَسُن العطف وبالمآل حصل توكيد الجملة الأولى وتقريرها، وكانت الثانية كتفصيل للجملة الأولى.

قوله تعالى: «إلا في ضلال»: الضلال: التلف والضياع، (وفي) للظرفية المجازية لدلالة على التمكن في الوصف أي إلا ضائع ضياعًا شديدًا.

والضلال خسران؛ لأن الداعي محروم من الإجابة في الدنيا والآخرة، ومقطوع الصلة بالله، ومحروم من دخول الجنة مقطوع له بدخول النار والخلود فيها إذا مات على شركه وضلاله، والعياذ بالله منها. (مستفاد من التحرير والتنوير ٧/ ١٠٩- ١١٠، وتفسير القرآن بالقرآن ٣/ ٢٨٩).

فوائد الآية:

١- التمثيل في الآية هيئة منتزعة من عدة أوصاف تتألف منها صورة كلية لا تتجزأ إلا مع شيء من التكلف، كأن يقال: شبَّه الله حال الكافر، وهو يبسط يده إلى الأصنام بالدعاء برجل باسط كفيه إلى الماء، فلا الأصنام تسمع ولا الماء يجيب.

٢- وشبَّه الكافر في انقطاع أمله من إجابة الأصنام التي يدعوها بانقطاع أمل طالب الماء دون أن يبذل جهدًا في رفعه إلى فيه.

٣- وشبَّه الداعي إلى الأصنام في سفهه وحمقه- بالذي يبسط كفيه إلى الماء دون أن يضعها فيه، فيغترف منه غرفة يرفعها إلى فيه، فأي حمق هذا؟!

إنها صورة معبرة عن حال مزرية للكافر ألغى عقله حتى أصبح معقولاً عن التفكير، واستمسك بما وجد عليه آباءه من غير وعي ولا إدراك ولا نظر فيما جاءتهم به الرسل، فضلوا وأضلوا عن سواء السبيل، واستوجبوا بذلك الخسران المبين في الدنيا والآخرة.

٤- الغرض من إيراد هذا المثل على هذا النحو البديع- التنفير من دعاء غير الله، والإقناع بلفت النظر إلى الحقيقة عن طريق صورة مشابهة، ومن الواضح في هذا المثل دقة التصوير مع إبراز العناصر المهمة من الصور التمثيلية، وصدق المماثلة بين المثل والممثل له، والتنويع في عرض المثل، فقد جاء هنا عقب استثناء يُشعر في مقدمته بحصول شيء من الاستجابة، فإذا بالمثل يؤكد في مضمونه عدم حصول أي مقدار من الاستجابة.

٥- لما انتهى عرض لوحة المثل طُويت، واستمر النص يبني ما يستدعيه الممثل له، فقال تعالى: «وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ»، أي: في خسران وضياع. (الفوائد مستفادة من كتاب الأمثال القرآنية، للدكتور محمد بكر إسماعيل).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

باب الفقه

صفة الصلاة

الدُّعَاءُ بَعْدَ التَّشَهُّدِ

إعداد/ د. حمدي طه

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

نتناول في هذا العدد حكم الدُّعَاء بَعْدَ التَّشَهُّد الأول والأخير، ثم نتكلم عن صفة الدعاء والأدعية الواردة فيها.

أولا: حكم الدعاء بعد التشهد:

يُسَنُّ لِلْمُصَلِّي بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ عند جمهور العلماء أَنْ يَدْعُوَ بِمَا شَاءَ وَهُوَ عِنْدَ الْمَالِكِيَّةِ مَنْدُوبٌ وَلَيْسَ بِسُنَّةٍ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٩٨/٢٧).

قَالَ الْمَاوَرْدِيُّ- من الشافعية-: أَمَّا الدُّعَاءُ، بَعْدَ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، وَقَبْلَ السَّلَامِ سُنَّةٌ مُخْتَارَةٌ قَدْ جَاءَتْ بِهَا الأَخْبَارُ وَوَرَدَتْ بِهَا الآثَارُ (الحاوى الكبير ١٣٨/٢) وَمَذْهَبُ الظَّاهِرِيَّةِ وُجُوبُ الاسْتِعَاذَةِ مِمَّا ذُكِرَ فِي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ.

وَزَادَ ابْنُ حَزْمٍ الظَّاهِرِيُّ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ بِوُجُوبِهِ فِي التشهدينَ فَقَالَ: ويلزمه فرض (أن يَقول إِذَا فرغ من التشهد في كلتا الجلستين: (اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال) وهذا فرض كالتشهد ولا فرق. (المحلى ٢٧١/٣ وانظر: طرح التثريب للعراقي ٤٢٩/٣).

وَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَزْمٍ مِنْ وُجُوبِ ذَلِكَ عَقِبَ التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ لَمْ يُوَافِقْهُ عَلَيْهِ أَحَدٌ وسيأتي الرد عليه.

وَعَنْ طَاوُوسٍ أَنَّهُ صَلَّى ابْنُهُ بِحَضْرَتِهِ فَقَالَ لَهُ ذَكَرْتَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ؟ قَالَ لَا، فَأَمَرَهُ بِإِعَادَةِ الصَّلَاةِ ذَكَرَهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ بَلَاغًا بِغَيْرِ إِسْنَادٍ.

وحملَ النووي كلام طاووس على أن هذا كله يدل على تأكيد هذا الدعاء والتعوذ والحث الشديد عليه، وظاهر كلام طاووس رحمه الله تعالى أنه حمل الأمر به على الوجوب فأوجب إعادة الصلاة لفواته، ولعل طاووسًا أراد تأديب ابنه وتأكيد هذا الدعاء عنده لا أنه يعتقد وجوبه والله أعلم (شرح النووي على صحيح مسلم ٨٩/٥).

واحتج ابن حزم بحديث أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ فَلْيَتَعَوَّذْ بِاللَّهِ مِنْ

أَرْبَعٍ، مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ. وفي رِوَايَةٍ أخري قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ) مُطْلَقٌ فِي التَّشَهُّدِ الأَوْسَطِ وَالأَخِيرِ (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْ أَرْبَعٍ) بَيَّنَهَا بِقَوْلِهِ: «يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ؛ وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ»؛ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فَقَولُ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ) مُطْلَقٌ فِي التَّشَهُّدِ الأَوْسَطِ وَالأَخِيرِ وَرِوَايَةُ مُسْلِمٍ: إِذَا فَرَغَ أَحَدُكُمْ مِنَ التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ فِيهِ تَعْيِينُ مَحَلِّ هَذِهِ الاسْتِعَاذَةِ بَعْدَ التَّشَهُّدِ الأخيرِ وهَذِهِ الرِّوَايَةُ قَيَّدَتْ إِطْلَاقَ الرِّوَايَةِ الأُولَى فَوَجَبَ حَمْلُ الْمُطْلَقِ عَلَى الْمُقَيَّدِ لا سِيَّمَا وَالْحَدِيثُ وَاحِدٌ، وأيضاً حديث عائشة (أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يدعو في الصلاة اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات اللهم إني أعوذ بك من المغرم والمأثم) رواه الجماعة إلا ابن ماجه مطلق قَيَّدَتْه هَذِهِ الرِّوَايَةُ فيحمل عليها وهذا يرد ما ذهب إليه ابن حزم من وجوبها في التشهد الأول؛ وَيَدُلُّ التَّعْقِيبُ بِالْفَاءِ أَنَّهَا تَكُونُ قَبْلَ الدُّعَاءِ الْمُخَيَّرِ فيه بِمَا شَاءَ. (انظر سبل السلام للصنعاني ٢/١٨٣ ونيل الأوطار للشوكاني ٢/٣٣٠ وطرح التثريب ٣/٤٢٩).

واحتج من أوجبها من أهل العلم في التَّشَهُّدِ الأَخِيرِ بما احتج ابن حزم من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، لأنَ اللَّامَ لامُ الأمر، في قوله (فليستعذ)، والأصل في الأمر بالوجوب. (صفة صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم للعلامة عبد الكريم الخضير١ /٥٧)

واحتج جمهور الفقهاء بحديث عَبْدِ اللهِ بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ كُنَّا إِذَا كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فِي الصَّلَاةِ قُلْنَا: السَّلَامُ عَلَى اللهِ مِنْ عِبَادِهِ السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ وَفُلَانٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لا تَقُولُوا السَّلَامُ عَلَى اللهِ فَإِنَّ اللهَ هُوَ السَّلَامُ وَلَكِنْ قُولُوا التَّحِيَّاتُ لله وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللهِ الصَّالِحِينَ فَإِنَّكُمْ إِذَا قُلْتُمْ أَصَابَ كُلَّ عَبْدٍ فِي السَّمَاءِ أَوْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنْ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو (رواه البخاري ومسلم).

وعليه تُحمل رواية البخاري ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الْكَلَامِ مَا شَاءَ

وفي رِوَايَةٍ أخري للبخاري ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا شَاءَ

وفي رواية لمسلم « ثم يتخير من المسألة ما شاء «.

والشاهد من الحديث: قوله صلى الله عليه وسلم «ثم ليتخير» فهو يدل على صرف الأمر من الوجوب إلى الندب والقاعدة في الأصول أن الأوامر تبقى على ظواهرها من الدلالة على الوجوب ما لم يقم الصارف على صرفها عن ذلك الظاهر. وقد قام الصارف في قوله صلى الله عليه وسلم: (ثم ليتخير بعد من المسألة ما شاء)، فوسَّع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يقيِّد. (شرح زاد المستقنع للشنقيطي ٣٩/٢).

ورُدَّ بأنه يحتمل أن يكون الدعاء الذي لا يجب دعاءً مخصوصاً وهذا واضح مطابق للحديث وإن كان التخيير مأمورًا به ويحتمل أن يكون المنفي التخيير ويحمل الأمر الوارد به على الندب ويحتاج إلى دليل، قال ابن رشصد ليس التخيير في آحاد الشيء بدال على عدم وجوبه فقد يكون أصل الشيء واجبًا ويقع التخيير في وصفه وقال الزين بن المنير: قوله ثم ليتخير وإن كان بصيغة الأمر لكنها كثيرًا ما ترد للندب (فتح الباري- ابن حجر ٢/٣٢١).

واحتج جمهور الفقهاء أيضاً بحديث أبي هريرة- رضي الله عنه-: أن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال لرجل: (ما تقول في صلاتك؟ قال: أتشهد، ثم أسأل الله الجنة، وأعوذ به من النَّار، أما والله ما أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، فقال- صلى الله عليه وسلم-: حولها ندندن). رواه أبو داود (إيقاظ الأفهام شرح عمدة الأحكام لسليمان اللهيميد ٣/٢٣).

والشاهد: إقرار النبي- صلى الله عليه وسلم – له وعدم الأمر بالتعوذ من الأربع الواردة في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ السابق وحديث عائشة، ولا يجو تأخير البيان عن وقت الحاجة.

واحتج جمهور الفقهاء أيضًا بحديث المسيء في صلاته ولم يرد فيه الأمر بالتعوذ من الأربع وهو موطن تعليم ولو كان واجباً لعلمه النبي- صلى الله عليه وسلم – المسيء في صلاته. (نيل الأوطار- الشوكاني ٢/٣٣٠).

ثانيا: ما يدعو به في آخر الصلاة:

١- عنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، زَوْجَ النَّبِيِّ-صلى الله عليه وسلم- أَنَّ النَّبِيَّ-صلى الله عليه وسلم- (كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ

عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ. قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللهِ! فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ. (رواه البخاري ومسلم: ١٣٧٧، ١٣٢٨).

- وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: إذا فرغ أحدكم من التشهد الأخير فليتعوذ بالله من أربع، من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات ومن شر فتنة المسيح الدجال) رواه مسلم.

- وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم « كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القرآن يقول: قولوا اللهم إنا نعوذ بك من عذاب جهنم وأعوذ بك من عذاب القبر وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات « رواه مسلم.

٢- عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللهِ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي؟ قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. (رواه البخاري: ٨٣٤).

٣- عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَنْ رَسُولِ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ قَالَ « وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ.... ثُمَّ يَكُونُ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».(رواه مسلم: ١٨١٢).

٤- عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ كَانَ رَسُولُ اللهِ-صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ، وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ». (متفق عليه: ٦٣٦٧، ٦٨٧٣. وهذا لفظ مسلم).

٥- وعن مِحْجَنِ بْنِ الأَدْرَعِ رضي الله عنه، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ قَضَى صَلَاتَهُ، وَهُوَ يَتَشَهَّدُ، وَهُوَ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ يَا أَللهُ الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، أَنْ تَغْفِرَ لِي ذُنُوبِي، إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ. قَالَ: فَقَالَ: قَدْ غُفِرَ لَهُ، قَدْ غُفِرَ لَهُ، ثَلَاثًا. رواه أبو داود والنسائي.

٦- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم جَالِسًا، يَعْنِي، وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ وَسَجَدَ وَتَشَهَّدَ دَعَا. فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْمَنَّانُ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ! يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! إِنِّي أَسْأَلُكَ. فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لأَصْحَابِهِ: تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ! قَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا اللهَ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى. (رواه أبو داود والنسائي).

٧- عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ فِي بَعْضِ صَلَاتِهِ: اللَّهُمَّ حَاسِبْنِي حِسَابًا يَسِيرًا. فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ! مَا الْحِسَابُ الْيَسِيرُ؟ قَالَ: أَنْ يَنْظُرَ فِي كِتَابِهِ فَيَتَجَاوَزَ عَنْهُ، إِنَّهُ مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ يَوْمَئِذٍ يَا عَائِشَةُ هَلَكَ. وَكُلُّ مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ يُكَفِّرُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ بِهِ عَنْهُ، حَتَّى الشَّوْكَةُ تَشُوكُهُ. رواه أحمد.

٨ - عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ أَبَا بَكْرٍ دَخَلَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَرَادَ أَنْ يُكَلِّمَهُ وَعَائِشَةُ تُصَلِّي. فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: عَلَيْكِ بِالْكَوَامِلِ، أَوْ كَلِمَةً أُخْرَى. فَلَمَّا انْصَرَفَتْ عَائِشَةُ، سَأَلَتْهُ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ لَهَا: قُولِي: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَأَسْتَعِيذُكَ مِمَّا اسْتَعَاذَكَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم، وَأَسْأَلُكَ مَا قَضَيْتَ لِي مِنْ أَمْرٍ، أَنْ تَجْعَلَ عَاقِبَتَهُ رَشَدًا. رواه أحمد (صحيح أذكار الصلاة لمحمد حسن يوسف ص ٤٠).

٩- عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم لِرَجُلٍ كَيْفَ تَقُولُ فِي الصَّلَاةِ قَالَ أَتَشَهَّدُ، ثُمَّ أَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ، أَمَا إِنِّي لَا أُحْسِنُ دَنْدَنَتَكَ وَلَا دَنْدَنَةَ مُعَاذٍ فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ رواه أحمد أبو داود وابن ماجه.

١٠- الإكثار من الدعاء قبل السلام:

عن عبدالله بن عمر- رضي الله عنهما- قال: «كُنَّا إذا كُنَّا مع النبي «... الحديث» إلى أنْ قال:

«ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو». (رواه البخاري: ٨٣٥). (أدعية الصلاة وأذكارها ص٦).

هل يجوز الدعاء في الصلاة بالمصالح الدنيوية خاصة؟

اختلف العلماء في ذلك: فقالت طائفة: يجوز، منهم: عروة ومالك والشافعي، وحُكي رواية عن أحمد، وقالت طائفة: لا يجوز ذلك، وهو المشهور عن أحمد، واختاره أبو محمد الجويني من الشافعية. (فتح الباري لابن رجب ٥/١٩٠).

قال ابن قدامة: ولا يجوز أن يدعو في صلاته بما يقصد به ملاذ الدنيا وشهواتها بما يشبه كلام الآدميين وأمانيهم مثل اللهم ارزقني جارية حسناء ودارًا قوراء وطعامًا طيبًا وبستانًا أنيقًا. (المغني- ١/٦٢٠).

وَصَرَّحَ الْحَنَفِيَّةُ بِأَنَّ الْمُصَلِّيَ يَدْعُو بِالأَدْعِيَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، عَلَى أَنَّهُ لاَ يَنْوِي الْقِرَاءَةَ إِذَا دَعَا بِأَدْعِيَةِ الْقُرْآنِ لِكَرَاهَةِ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ وَالتَّشَهُّدِ. وَلاَ يَدْعُو بِمَا يُشْبِهُ كَلاَمَ النَّاسِ وَالأَفْضَل الدُّعَاءُ بِالْمَأْثُورِ. (الموسوعة الفقهية الكويتية ٢٧/٩٩).

واحتج المانعون- وهم الْحَنَفِيَّةُ والحنابلة - بحديث مُعَاوِيَةَ بْنِ الْحَكَمِ السُّلَمِيِّ قَالَ بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رَسُولِ اللَّهِ-صلى الله عليه وسلم- إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَقُلْتُ يَرْحَمُكَ اللَّهُ.... إلى قَوْلُهُ- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- «إِنَّ صَلاَتَنَا هَذِهِ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ وَإِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّهْلِيلُ وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وقالوا الدعاء بأمر الدنيا من كلام الناس (تبيين الحقائق لفخر الدين الزيلعي ١/١٢٤).

وأجيب بأن قوله عليه الصلاة والسلام: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس» إنما هو كلام الناس الممنوع لا المشروع، فلما جاء الإذن بأن يدعو دعاء مطلقا وهذا يشمل ما كان بالدنيا أو الآخرة؛ فإنه يعتبر من الكلام في الصلاة المأذون به، وليس من الكلام المحرم. ثم إن قوله: «كلام الناس» المراد به ما عارض الصلاة. (دروس عمدة الفقه للشنقيطي ٢/٣٨١).

واحتج المانعون بالقياس على رد السلام وتشميت العاطس فقالوا: لأنه كلام يخاطب بمثله أشبه تشميت العاطس ورد السلام. (المغني- لابن قدامة ١/٦٢٠).

وأجيب أَمَّا قِيَاسُهُمْ عَلَى كَلاَمِ الآدَمِيِّينَ فَلَيْسَ الدُّعَاءُ مِنْ كَلاَمِ الآدَمِيِّينَ، وَإِنَّمَا هُوَ ابْتِهَالٌ وَرَغْبَةٌ فَكَانَ بِالذِّكْرِ أَشْبَهَ. (الحاوي للماوردي ٢/٣١٩).

واستدل الجمهور بعموم حديث ابن مسعود وعبدالله بن عمر- رضي الله عنهم ..وفيه «ثُمَّ لِيَتَخَيَّرْ مِنَ الدُّعَاءِ أَعْجَبَهُ إِلَيْهِ فَيَدْعُو» وفي رواية البخاري : ثُمَّ يَتَخَيَّرُ بَعْدُ مِنَ الْكَلاَمِ مَا شَاءَ .وفي رواية أخرى للبخاري: ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الثَّنَاءِ مَا شَاءَ، وفي رواية لمسلم " ثم يتخير من المسألة ما شاء ".

وأجيب بأن الخبر محمول على أنه يتخير من الدعاء المأثور وما أشبهه. (المغني لابن قدامة ١/٦٢٠).

واحتج الجمهور بقوله صلى الله عليه وسلم: " وأما السجود فاجتهدوا فيه من الدعاء " وفي الحديث الآخر" فأكثروا الدعاء " وهما صحيحان فأطلق الأمر بالدعاء ولم يقيده فتناول كل ما يسمى دعاء ولأنه صلى الله عليه وسلم دعا في مواضع بأدعية مختلفة فدل على أنه لا حجر فيه. (المجموع شرح المهذب للنووي ٣/٤٧٢).

واحتج الجمهور بحديث أَنَس بْنِ مَالِكٍ «أَنَّهُ- عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ- كَانَ يَدْعُو عَلَى رِعْلٍ وَذَكْوَانَ وَعَلَى قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وأجيب بأن هذا مَحْمُولٌ عَلَى الابْتِدَاءِ حِينَ كَانَ الْكَلاَمُ مُبَاحًا فِيهَا؛ وَلأَنَّ مَا ذَكَرْنَا مُحَرِّمٌ وَمَا ذَكَرَهُ مُبِيحٌ وَالْمُحَرِّمُ مُقَدَّمٌ عَلَى الْمُبِيحِ(تبيين الحقائق لفخر الدين الزيلعي ١/١٢٤).

والراجح ما ذهب إليه الجمهور لعموم قوله- صلى الله عليه وسلم- " ثم ليتخير من الدعاء "" فَلْيَتَخَيَّرْ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ " لأن هذا التخيير عام فالذي يَمنَع من سؤال أمر دنيوي يُحجِّر واسعاً، ويُضيِّق ما وسعه النبي صلى الله عليه وسلم.(شرح عمدة الأحكام من جامع ابن تيمية١/٣٨٦).

وعلى هذا إذا فرغ المصلي من التشهد في جلسته الأخيرة قبل أن يسلم نُدب إليه أن يصلي على رسول الله- صلى الله عليه وسلم-، كما نُدب إليه أن يدعو بما يشاء، وأن يتعوذ بالله عز وجل، فهذه الجلسة فيها متَّسعٌ للدعاء وللذكر، فليتخير لها من الأدعية والمتعوذات ما يعجبه، وإن كان مخيرًا فليتخير الوارد، وهو أفضل وأكمل لاشتماله على جوامع الدعاء، كهذه الأربع التي جمعت خير الدين والدنيا والآخرة.



نظرات في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم

الإسلام يشجع على العمل، ويحل مشكلة الفقر والبطالة

إعداد / جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإنَّ من مميزات الدين الإسلامي شمولية أحكامه لكل نواحي الحياة وجوانبها، إذ إن تشريعات هذا الدين العظيم شملت كل ما يحتاجه البشر، سواء أكان في المعاملات أم العبادات أم غيرهما، فما من خير إلا وقد دل الناس عليه، وما من شر إلا وحذرهم منه، لذلك كانت شريعة الإسلام صالحة لكل زمان ومكان؛ فأحكام الإسلام وتشريعاته تستوعب مختلف المسائل والقضايا التي تستجد في واقع الناس وحياتهم.

فمنذ بدء الخليقة ظهرت الحاجة إلى العناية بالعائلة أو القبيلة أو القرية أو المجتمع أو الدولة، وقد شجع الإسلام أبناءه على العمل، ونبذ الخمول والبطالة والكسل، فكما دعاهم إلى الصلاة والمحافظة عليها فقال تعالى: (حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ) (البقرة: ٢٣٨)، دعاهم إلى السعي قال تعالى: (فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) (الجمعة:١٠).

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ جُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا شَابٌّ مِنَ الثَّنِيَّةِ، فَلَمَّا رَأَيْنَاهُ بِأَبْصَارِنَا قُلْنَا: لَوْ أَنَّ هَذَا الشَّابَّ جَعَلَ شَبَابَهُ وَنَشَاطَهُ وَقُوَّتَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. قَالَ: فَسَمِعَ مَقَالَتَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «وَمَا سَبِيلُ اللَّهِ إِلاَّ مَنْ قُتِلَ؟ مَنْ سَعَى عَلَى وَالِدَيْهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى عِيَالِهِ فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى نَفْسِهِ لِيُعِفَّهَا فَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَنْ سَعَى عَلَى التَّكَاثُرِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ». السنن الكبرى للبيهقي (٤٣/٩). وقال الألباني: إسناده جيد.

وهكذا شجع الإسلام العمل والعاملين ورفع من شأنهم وجعل سعي المسلم على رزقه أو أي أحد من أهله كل ذلك في سبيل الله. لأن ذلك مصدر عفة المسلم ورفع شأنه وعدم تعريضه للفقر والحاجة وسؤال الناس.

وقد كان الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الفقر والحاجة؛ فعَنْ مُسْلِمِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ» مسند أحمد (١٧/٣٤) وإسناده قوي.

مظاهر وأضرار الفقر والبطالة:

١- استحلال أكل أموال الناس بالباطل.

٢- انتشار الحقد والحسد والأنانية وحب النفس وحب النفس والحرص الشديد على جمع المال.

٣- ضعف المجتمع وتأخره.

٤- تحكم الأقوياء فيه والسيطرة عليه.

٥- التفكك الأسري وكثرة حالات الطلاق.
٦- انتشار التسول والنصب والسرقات والجريمة.
٧- عدم الرضا والقناعة.
٨- ضياع الأخلاق والسلوكيات والعقائد.

وأما الأثر الناجم عن البطالة والتعطل عن العمل غير التسول فهو الاتجاه إلى الجريمة طلبا للمال، وهذا الأثر أخطر بكثير من التسول؛ لأنه إن كان المتسول يأخذ من مال الغير برضاه، فإن السارق يأخذ المال عنوة وربما قتل ليصل إلى ما يريد من المال. ومن هنا تنتشر الجريمة وتصبح حياة الناس وأموالهم وأعراضهم في خطر من هؤلاء المجرمين المتعطلين. وقد أثبتت الدراسات والبحوث أن أكثر الذين يرتكبون الجرائم في هذه الأيام هم من العاطلين الذين أخفقوا في الحصول على عمل، وكذا الذين أخفقوا في دراستهم وعجزوا أن يشغلوا أنفسهم بالحق فشغلتهم بالباطل.

ومن هنا تتضح عظمة الإسلام حين حض على العمل ورغب الناس فيه، وجعل السعي على الرزق شبيها بالجهاد في سبيل الله تعالى.

أسباب الفقر والبطالة:

أولا: منها شيء كتبه الله تعالى على العبد لا دخل للعبد فيه كما قال سبحانه: «اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ».

ثانيا: قد يكون الإنسان متسببًا في إفقار نفسه ومن حوله؛ وأسباب ذلك الآتي:

١- العكوف على الدنيا وصرف الهمة كلها إليها: عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ: مَنْهُومٌ فِي الْعِلْمِ لَا يَشْبَعُ مِنْهُ، وَمَنْهُومٌ فِي الدُّنْيَا لَا يَشْبَعُ مِنْهَا، فَمَنْ تَكُنِ الْآخِرَةُ هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يَكْفِي اللَّهُ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَمَنْ تَكُنِ الدُّنْيَا هَمَّهُ، وَبَثَّهُ، وَسَدَمَهُ، يُفْشِي اللَّهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَجْعَلُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ لَا يُصْبِحُ إِلَّا فَقِيرًا، وَلَا يُمْسِي إِلَّا فَقِيرًا» سنن الدارمي (١/٣٥٥) (قال محققه: إسناده صحيح إلى الحسن).

٢- الإعراض عن شرع الله: قال تعالى: «وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ» (طه: ١٢٤). وقال تعالى: «فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ» (سبأ: ١٦).

٣- التعامل بالربا: قال تعالى: «يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ» (البقرة: ٢٧٦).

٤- فتح باب سؤال الناس (التسول): قال صلى الله عليه وسلم: «وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ» مسند أحمد (٢٠٨/٣). حسن لغيره.

٥- عدم شكر نعمة الله تعالى. قال تعالى: «وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ». النحل/(١١٢).

٦- كثرة الذنوب والمعاصي: في سنن ابن ماجه (١٣٣٤/٢) عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «لَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ». إسناده حسن.

٧- عدم الصدق بين البائع والمشتري. في صحيح البخاري (٥٩/٣) ومسلم: عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، قَالَ: «الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا - أَوْ قَالَ: حَتَّى يَتَفَرَّقَا - فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا».

٨- السفه في إنفاق الأموال؛ ومن ذلك:
أ- شرب المحرمات.
ب - الإسراف في نفقات الأفراح والمآتم.
ج - الغلو في المهور وانفاقها جزافا.

٩- انتشار الأمراض الاجتماعية: كالطلاق، والشكايا في المحاكم واستنزاف الأموال في ذلك، ١٠- المفاهيم الخاطئة:

أ- في النظر إلى العمل والمهنة. ب- ترك الأسباب بدعوى التوكل، والله تعالى يدعو للأخذ بالأسباب فقال لمريم عليها السلام: «وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى وَقَرِّى عَيْنًا». (مريم: ٢٥-٢٦)، وكل سبب مما مضى كاف لإفقار بلد فكيف إذا اجتمع كثير من هذه الأسباب في شخص واحد. أو أمة واحدة؟

علاج الشرع لمشكلة الفقر والبطالة:

لقد اهتم الإسلام بعلاج هذه المشكلة اهتماما بالغا حفاظا على المجتمع المسلم من أخطارها الأخلاقية والسلوكية والعقائدية، ومن مظاهر هذا الاهتمام:

١- تشجيع الناس على مزاولة المهن والأعمال والصناعات:

فحثهم على أن يختار كل إنسان ما يناسب قدراته ومهاراته من عمل طيب، قال تعالى: «هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ

لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ » الملك: ١٥). وقال: « وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً ۚ وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا » (النساء: ١٠٠). ومدح الأكل من عمل يده:

فعَن المقْدام بن معد يكرب رَضي الله عَنهُ قالَ: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا أكل أحد طعَاما خيرا من عمل يديْه، إن نبي الله داوُد عَليْه السَّلاَم كانَ يَأكُل من عمل يده» أخرجه البُخاريّ.

وعَن عائشة رَضي الله عَنها قالت: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسب يده، وإن ولده من كسبه» رَوَاهُ أبُو داوُد وَالنسائيّ وابْن مَاجَه.

وَعَن الزبير بن العَوام رَضي الله عَنهُ قال: قال رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «لأن يَأْخُذ أحدكم أحبله فيأتي بحزمة من حطب على ظهره فيبيعها فيكف بها وَجهه خير له من أن يسْأل النَّاس أعْطوهُ أم منعُوهُ». رَوَاهُ البُخَاريّ وَابْن مَاجه وَغيرهمَا.

وعن النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - قال: «كَانَ دَاوُدُ - عليه السلام - لا يَأكُلُ إلاَّ من عَمَل يَده». رواه البخاري.

وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «كَانَ زَكريّا - عليه السلام - نَجَّارًا». رواه مسلم.

قَال ابن القيم رحمه الله: «في تلبيس إبليس (ص: ٢٥٠): «التوكل فعل القلب فلا ينافي حركة الجوارح، ولو كان كل كاسب ليس بمتوكل لكان الأنبياء غير متوكلين، فقد كان آدم عَلَيْه السلام حراثا، ونوح وزكريا نجارين، وإدريس خياطا، وإبراهيم ولوط زارعَيْن، وصالح تاجرًا، وكان سُلَيْمَان يعمل الخوص، وداود يصنع الدرع ويأكل من ثمنه، وكان مُوسَى وشعيب ومحمد رعاة؛ صلوات الله عليهم أجمعين».

وعبد الرحمن بن عوف وهو عاشر العشرة المبشرين بالجنة؛ كان تاجر حبوب ودقيق حتى صار من أغنى المهاجرين، وكان عبد الله بن جعفر بن أبي طالب يبيع الجلود المدبوغة في السوق، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يمر به ويشجعه ويدعو له بأن يبارك الله له في تجارته.

ومثله الصحابي الجليل عروة البارقي قال «عَرَض للنَّبيِّ صلى الله عليه وسلم جَلَبٌ، (وهي الغنم المجلوبة للبيع في السوق) فأعْطاني دينَارًا، فقَال: «أيْ عُرْوَةُ ائت الجلَب « فاشْتَر لنا شَاةً، قَال: فأتَيْتُ الجلَبَ، فسَاوَمْتُ صَاحِبَه، فاشْتَرَيْتُ منْه شَاتيْن بدينَار، فَجئْتُ أسُوقهُمَا، أوْ قَال: أقُودُهُما، فلقيَني رَجُل، فسَاومَني فأبيعُه شَاة بدينَار، فجئْتُ بالدينَار وَجئْت بالشَاة، فقلت: يَا رَسُول الله، هذا دينَارُكمْ، وَهَذه شَاتُكُمْ، قَال: «وَصَنَعْت كَيْف؟» فَحَدثْتُه الحَديث، فقَال: «اللهُمَّ بَارِكْ لهُ في صَفْق يَمينه» فلقَدْ رَأيْتُني أقف بكُناسَة الكوفة فأرْبَح أرْبعينَ ألفا قَبْل أنْ أصل إلى أهْلي. وكَانَ يَشْتري الجَوَاري وَيَبيعُ». مسند أحمد (٣٢/ ١١٠) وإسناده صحيح.

وأسْمَاء بنْت أبي بَكْر قالَتْ: تزوَّجني الزُّبَيْرُ وَمَا لَهُ في الأرْض مَالٌ ولا مَمْلُوكٌ ولا شيْءٌ غيْرَ فرَسه. قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤونته وأسوسه وأدق النوى لفرسه وأعْلفُهُ وأسْقيه الماء وأخْرُزُ غرْبَهُ وأعْجنُ ولم أكن أحسن أخبز فكان يَخْبز جارَاتٌ لي منَ الأنْصَار وكُنَّ نسْوَةَ صدْق. قَالَتْ: وكنْتُ أنقل النَّوَى مَنْ أرْض الزُّبَيْر التي أقْطعَهُ رَسُول الله عَلى رَأسي وَهيَ عَلى ثُلثيْ فرْسَخ. قالت: فجئْتُ يوْمًا وَالنَّوَى عَلى رَأسي فلقيت رَسُول الله وَمَعَهُ نَفَرٌ منْ أصْحَابه فدَعَا لي ثمَّ قال: إخ إخ. ليَحْملني خلفه. فاسْتَحيَيْتُ أنْ أسيرَ مَعَ الرِّجَال وذكَرْتُ الزُّبَيْرَ وَغيْرَتَهُ. قالتْ: وكانَ منْ أغْيَر النَّاس. قالت فعَرَف رسُول الله أنِّي قَد اسْتَحْيَيْتُ فمَضى. فجئْتُ الزُّبَيْرَ فقلتُ: لقيَني رَسُولُ الله وَعلى رَأسي النَّوَى ومَعَه نفرٌ منْ أصْحَابه فأنَاخَ لأرْكَبَ مَعَه فاسْتَحْيَيْتُ وَعَرَفْتُ غيْرَتك. فقَال: وَالله لحَمْلُك النَّوَى كان أشَدَّ عَليَّ منْ رُكوبك مَعَه. قالتْ: حَتَّى أرْسَل إليَّ أبُو بَكْر بَعْدَ ذلك بخَادم فكفتْني سيَاسَةَ الفَرَس فكأنَّمَا أعْتَقَنَي. الطبقات الكبرى (١٩٧/٨).

وكانت أسماء بنت عميس رضي الله عنها بعد وفاة زوجها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه تدبغ الجلود ليبيعها أولادها بالسوق.

وكانت عائشة رضي الله عنها تعجن عجينها ويساعدها النبي صلى الله عليه وسلم. وكذلك فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم. وكانت زوجة أبي الهيثم بن التيهان تعمل مع زوجها في نخله وغنمه وحدها معه، فلما أعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم خادما للمساعدة وأوصى بإكرامه قالت لزوجها: اعتقه حتى تنفذ وصية رسول الله في إكرامه.

والمرأة الأنصارية التي استقبلت النبي صلى الله عليه وسلم وبسطت له الفراش تحت النخيل ورشت حوله وذبحت له طعاما فأكل هو وأصحابه.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

قصة زواج النبي صلى الله عليه وسلم بمريم وآسية وكلثم في الجنة

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة، ولقد اغتر بهذه القصة الواهية كثير من الناس لوجودها في كُتب السنة الأصلية وإلى القارئ الكريم بيان حقيقة هذه القصة:

إعداد/ علي حشيش

أولاً: المتن:

رُوِيَ عَنِ ابْنِ أَبِي دَاوُدَ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ، وَهِيَ فِي مَرَضِهَا الَّذِي تُوُفِّيَتْ فِيهِ، فَقَالَ لَهَا: "بِالْكُرْهِ مِنِّي مَا أَرَى مِنْكِ يَا خَدِيجَةُ، وَقَدْ يَجْعَلُ اللَّهُ فِي الْكُرْهِ خَيْرًا كَثِيرًا، أَمَا عَلِمْتِ أَنَّ اللَّهَ زَوَّجَنِي مَعَكِ فِي الْجَنَّةِ مَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ، وَامْرَأَةَ فِرْعَوْنَ"، وَكَلْثَمَ أُخْتَ مُوسَى، قَالَتْ: وَقَدْ فَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: بِالرِّفَاءِ وَالْبَنِينَ». اهـ.

ثانيًا: التخريج:

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٤٥١/٢٢) ح(١١٠٠) قال: حدثنا علي بن عبد العزيز، حدثنا الزبير بن بكار، حدثني محمد بن حسن عن يعلى بن المغيرة عن ابن أبي روّاد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة... القصة. ومن طريق الزبير بن بكار أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١١٩/٧٠) (ح١٣٨٣٢).

ثالثًا: التحقيق:

هذا الخبر الذي جاءت به القصة فيه علتان: الأولى: السقط في الإسناد، الثانية: الطعن في الراوي.

بيان العلة الأولى: السقط في الإسناد.

يتبين هذا السقط في الإسناد حيث رُوِيَ: «عن ابن أبي روّاد قال: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة...».

قلتُ: ابن أبي روّاد هو عبد العزيز بن أبي روّاد. قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٤٠٨٧/٣٨١/١): «عبد العزيز بن أبي روّاد، بفتح الراء وتشديد الواو صدوق عابد، ربما وهم ورمي بالإرجاء من السابعة، مات سنة تسع وخمسين ومائة». اهـ.

قلت: قوله عن عبد العزيز بن أبي رواد من السابعة قد بينه الحافظ ابن حجر في تقسيمه الطبقات حيث قال في «مقدمة التقريب» (٢٨/١): «السابعة: طبقة كبار أتباع التابعين». اهـ.

قلت: إذن عندما يقول ابن أبي روّاد: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خديجة في مرضها الذي توفيت فيه فقال لها...».

يكون في الإسناد سقط، على أقل تقدير في السقط، بين ابن رواد والنبي صلى الله عليه وسلم سقط اثنين حيث إن ابن أبي رواد من طبقة أتباع التابعين فسقطت طبقة التابعين

وطبقة الصحابة برفعه الخبر إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وعليه يكون هذا الخبر الذي جاءت به القصة من نوع المعضل وهو ما سقط من إسناده اثنان فأكثر على التوالي.

العلة الثانية: وهي المتعلقة بالطعن في الراوي وهو محمد بن الحسن:

١- قال الإمام الحافظ المزي في «تهذيب الكمال» (٥١٤٨/٦٠/٢٥): «محمد بن الحسن بن زبالة روى عنه الزبير بن بكار وآخرين، ثم ذكر عن معاوية بن صالح أنه قال: «قال لي يحيى بن معين: محمد بن الحسن الزبالي والله ما هو بثقة حدث عدو الله عن مالك ثم ذكر له حديثًا منكرًا».

وقال هشام بن مرثد الطبراني عن يحيى بن معين: «ابن زبالة كذاب خبيث لم يكن بثقة ولا مأمون يسرق». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (١٢٥٤/٢٢٧/٧): «سألت أبي عن ابن زبالة فقال: «واهي الحديث، ضعيف الحديث، ذاهب الحديث، منكر الحديث».

٣- قال الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٤٢١/٦٣): «أخبرنا العتيقي، أخبرنا محمد بن عدي البصري في كتابه، حدثنا أبو عبيد محمد بن علي الآجري قال: سمعت أبا داود يقول: كذابا المدينة محمد بن الحسن بن زباله، ووهب بن وهب أبو البختري». اهـ.

٤- وأقر ذلك الحافظ الذهبي في «الميزان» (٧٣٨٠/٥١٤/٣) قال: «محمد بن الحسن بن زَبَالة المخزومي المدني، قال أبو داود: كذّاب، وقال يحيى: ليس بثقة، وقال النسائي والأزدي: متروك. وقال أبو حاتم: واهي، وقال الدارقطني وغيره: منكر الحديث». اهـ.

٥- أورد الحافظ الهيثمي هذا الخبر الذي جاءت به القصة في «مجمع الزوائد» (٢١٨/٩) وقال: «رواه الطبراني منقطع الإسناد، وفيه محمد بن الحسن بن زبالة وهو ضعيف». اهـ.

قلت: ولقد بيَّنا نوع الانقطاع، وبينا درجة الضعف وقد يحسب البعض أن بيان درجة الضعف أمر هين، ولكنه عند أهل الصنعة الحديثية عظيم، فقد زلت بسببه أقدام وضلت أفهام، حيث اغتروا بقول الحافظ الهيثمي في الراوي: «ضعيف»، وبعدم الوقوف على درجة الضعف اتخذوه متابعًا أو شاهدًا، فبالاستقراء التام لقول الهيثمي في الراوي: «ضعيف» غالبًا ما يكون الضعف شديدًا.

ففي بحثنا هذا قال الحافظ الهيثمي: «محمد بن الحسن بن زبالة ضعيف». وقد تبين من البحث من أقوال أئمة الجرح والتعديل: أنه كذاب خبيث لم يكن بثقة، ولا مأمون يسرق، واهي الحديث، منكر الحديث. وبهذا تصبح هذه القصة واهية، وأن الخبر الذي جاءت به موضوع.

والموضوع: «هو الكذب المختلق المصنوع المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم».

رابعًا: قرينة تدل على أن هذا الخبر موضوع:

جاء في الخبر عندما قال النبي صلى الله عليه وسلم لأم المؤمنين خديجة رضي الله عنها: «أما علمت أن الله عز وجل زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وكلثم أخت موسى». قالت: وقد فعل الله ذلك يا رسول الله؟ قال: «نعم». فقالت: بالرفاء والبنين».

قال محدث الديار الشامية الألباني- رحمه الله- في «آداب الزفاف» (ص١٧٥): «بالرفاء والبنين» تهنئة الجاهلية، ثم قال: «ولا يقول بالرفاء والبنين كما يفعل الذين لا يعلمون فإنه من عمل الجاهلية وقد نُهي عنه في أحاديث...» اهـ.

قلتُ: بالرفاء والبنين تهنئة الجاهلية؛ لأن الله عز وجل بيَّن حال أهل الجاهلية عندما يبشر أحدهم بالأنثى فقال تعالى في الآيتين الثامنة والخمسين، والتاسعة والخمسين المكيتين من سورة النحل: « وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم × يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب ألا ساء ما يحكمون » (النحل: ٥٨- ٥٩).

قلتُ: انظر إلى هذا الكذاب الخبيث ابن زبالة الذي ليس بثقة، ولا مأمون، يتهم أم المؤمنين خديجة بأعمال الجاهلية وهي في مرضها الذي توفيت فيه بخبر مكذوب موضوع.

وهيهات هيهات أن تقول ذلك أم المؤمنين خديجة، وقد قال الحافظ ابن حجر في «الإصابة في تمييز

الصحابة» (٣٣٥/٢٨٠/٤): «خديجة بنت خويلد بن أسد القرشية الأسدية زوج النبي صلى الله عليه وسلم وأول من صدقت ببعثته مطلقًا وتوفيت لعشر خلون من رمضان سنة عشر من البعثة فماتت قبل الهجرة بثلاث سنين على الصحيح». اهـ. فكيف بمن عاشت في فترة الدعوة المكية من أول يوم تؤيده وتنصره كما بين ذلك الإمام البخاري في «صحيحه» (ح٣) من حديث عائشة عندما جاء الوحي في غار حراء ثم رجع النبي صلى الله عليه وسلم فدخل على خديجة وأخبرها الخبر: «لقد خشيتُ على نفسي». فقالت خديجة: كلا والله لا يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسبُ المعدوم، وتَقْري الضيف وتعين على نوائب الدهر». اهـ.

هذه أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها من أوّل يوم من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم فكيف سولت لهذا الكذاب الخبيث نفسه أن يتهم أم المؤمنين خديجة بأقوال وأعمال الجاهلية «بالرفاء والبنين».

وهل هناك حمل وإنجاب في الجنة لتدعو أم المؤمنين خديجة بإنجاب الذكور.

لقد صدق في ابن زبالة قول الإمام يحيى بن معين: «والله ما هو بثقة حدث عدو الله عن مالك ثم ذكر له حديثًا منكرًا».

قلت: كم حدث عدو الله ابن زبالة الكذاب الخبيث بأحاديث مكذوبة حتى نقل الإمام المزي في «تهذيب الكمال» (٥١٤٨/٢٠/٢٥) عن أحمد بن صالح المصري قال: «كتبت عن محمد بن الحسن بن زبالة مائة ألف حديث ثم تبين لي أنه كان يضع الحديث فتركت حديثه». اهـ.

خامسًا: طريق آخر:

حتى لا يتقول علينا من لا دراية له بالصنعة الحديثية متوهمًا أن هناك طريقًا آخر للقصة فهذا بيان الطريق:

أخرجه الحافظ الطبراني في «المعجم الكبير» (٣٠٩/٨) (ح٨٠٠٦) قال: حدثنا محمد بن نوح بن حرب العسكري، حدثنا خالد بن يوسف السمتي، حدثنا عبد النور بن عبد الله حدثنا يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعائشة: «أشعرت أن الله عز وجل زوجني في الجنة مريم بنت عمران وكلثم أخت موسى وامرأة فرعون». اهـ.

سادسًا: تحقيق هذا الطريق:

١- هذا الطريق موضوع تالف آفته عبد النور بن عبد الله:

قال الحافظ الذهبي في «الميزان» (٥٢٨٠/٦٧١/٢): «عبد النور بن عبد الله المِسْمعي كذاب، وقال العقيلي: كان يغلو في الرفض». اهـ.

٢- وعلة أخرى: يونس بن شعيب.

قال الذهبي في «الميزان» (٩٩٠٧/٤٨١/٤): «يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال البخاري: منكر الحديث». اهـ.

ثم بين الحافظ الذهبي مناكيره فقال: «وذكره ابن عدي في كامله فقال: أخبرنا أبو يعلى، حدثنا إبراهيم بن محمد بن عرعرة، حدثنا عبد النور بن عبد الله، حدثنا يونس بن شعيب، عن أبي أمامة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا عائشة، أما علمت أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وكلثم أخت موسى، وآسية امرأة فرعون. فقلت: هنيئًا لك يا رسول الله». اهـ.

قلت: ذكره ابن عدي في «الكامل» (٢٠٨٨/١٨٠/٧) قال: يونس بن شعيب عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم، سمعت ابن حماد يقول: قال البخاري يونس بن شعيب عن أبي أمامة عن النبي صلى الله عليه وسلم في مريم بنت عمران منكر الحديث ثم أخرج الحديث الذي أورده الذهبي وعزاه له، ثم قال: «وهذا الذي ذكره البخاري ليونس بن شعيب أنكره عليه وهو يعرف به». اهـ.

قلت: وقول الحافظ الذهبي: «يونس بن شعيب عن أبي أمامة قال البخاري: منكر الحديث».

وهذا المصطلح عند البخاري له معناه، قال الشيخ أحمد شاكر محدث وادي النيل رحمه الله في «شرح اختصار علوم الحديث» (ص٨٩):

«وكذلك قول الإمام البخاري: منكر الحديث»، فإنه يريد به الكذابين، ففي «الميزان» للذهبي (٥/١) نقل ابن القطان أن البخاري قال: «كل من قلت فيه: منكر الحديث فلا تحل الرواية عنه». اهـ.

قلت: إذن هذا السند تالف بالكذابين عبد النور بن عبد الله الرافضي الكذاب، ويونس بن شعيب الذي قال فيه البخاري منكر الحديث وبينا معناه، وبهذا يتبين أن هذا الطريق لا يزيد الطريق الأوَّل إلا وهنًا على وهن، حيث إن فيه ابن زبالة الكذاب الخبيث كما هو ثابت عند أهل الصنعة الحديثية بهذه القاعدة التي نقلها الإمام الحافظ ابن كثير رحمه الله في «اختصار علوم الحديث» (ص٣٣): «قال الشيخ أبو عمرو: لا يلزم من ورود الحديث من طرق متعددة أن يكون حسنًا، لأن الضعف يتفاوت فمنه ما لا يزول بالمتابعات يعني لا يؤثر كونه تابعًا أو متبوعًا كرواية الكذابين والمتروكين».

قلت: فهذا هو الطريق الثاني من حديث أبي أمامة وفيه من الكذابين الذين لا تحل الرواية عنهم عبد النور بن عبد الله، ويونس بن شعيب أما خالد بن يوسف السمتي الذي جاء في رواية الطبراني والتي أوردناها آنفًا وهو ضعيف كما بين ذلك الحافظ الذهبي في «الميزان» (٢٤٨٨/٦٤٨/١) لم أتخذه علة ثالثة لأن له متابع وهو إبراهيم بن محمد بن عرعرة في الرواية التي أخرجها ابن عدي في كامله وأوردها الحافظ الذهبي كما بيّنا آنفًا.

وإبراهيم بن محمد بن عرعرة من رجال مسلم، قال الحافظ في «التقريب» (٥١/١): «ثقة حافظ». اهـ.

وقد تابع خالد بن يوسف السمتي في روايته عن عبد النور بن عبد الله ولهذا لا يصح أن يكون علة.

قلت: ويحسب أيضًا من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن هذا هين ولكنه عظيم يتبين ذلك من تحقيق الإمام الحافظ الهيثمي حيث أخرج حديث أبي أمامة هذا في «مجمع الزوائد» (٢١٨/٩)، ثم قال: «رواه الطبراني وفيه خالد بن يوسف السمتي وهو ضعيف». اهـ.

قلت: انظر إلى الإمام الهيثمي- عفا الله عنا وعنه- جعل علة الحديث خالد السمتي مطلقًا وقصر العلة عليه، ولقد بيّنا آنفًا أن له متابع ثقة حافظ من رجال مسلم».

وفاته رحمه الله أن العلة مركزة في عبد النور بن عبد الله الكذاب الخبيث ويونس بن شعيب الذي لا تحل الرواية لقول البخاري فيه: منكر الحديث.

سابعًا: طريق ثالث:

هذا الطريق أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦٤/٦) (ح٥٤٨٥) قال: حدثنا عبد الله بن ناجية، حدثنا محمد بن سعد العوفي، حدثنا أبي، حدثنا عمي، حدثنا يونس بن نفيع عن سعد بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أن الله زوجني في الجنة مريم بنت عمران، وامرأة فرعون، وأخت موسى». اهـ.

قلت: وهذا سند تالف مسلسل بالعوفيين يزيد القصة وهنًا على وهن.

١- محمد بن سعد: هو محمد بن سعد بن محمد بن الحسن بن عطية بن سعد بن جنادة أبو جعفر العوفي من عوف بن سعد، قال الخطيب في «التاريخ» (٣٢٢/٥): «كان لينًا في الحديث». اهـ.

٢- قوله: «حدثنا أبي» هو سعد بن محمد بن الحسن بن عطية العوفي، قال الحافظ ابن حجر في «لسان الميزان» (٣٦٥٠/٢٤/٣) روى عن أبيه وعمه الحسين بن الحسن وآخرين، روى عنه ابنه محمد وآخرين، قال أحمد: جهمي، ولم يكن ممن يتساهل أن يكتب عنه، ولا كان موضعًا لذاك، حكاه الخطيب. اهـ. قلت: حكاه في «التاريخ» (١٢٩/٩).

٣- قول أبيه: «حدثنا عمي» هو الحسين بن الحسن بن عطية العوفي أبو عبد الله أورده ابن حبان في «المجروحين» (٢٤٦/١) وقال: منكر الحديث يروي عن الأعمش وغيره أشياء لا يتابع عليها كأنه كان يقلبها وربما رفع المراسيل وأسند الموقوفات ولا يجوز الاحتجاج بخبره. اهـ.

قلت: من هذا يتبين أن خبر هؤلاء العوفيين: منكر لا يحتج به بل لا يتابع عليه ولا يكتب.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.

دَعوة

دعوة للتغيير .. ومن المحن تأتي المنح

إعداد / د. محمد عبد العليم الدسوقي
الأستاذ بجامعة الأزهر

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه.. وبعدُ:

فليس ثمة أمر أفضل من تربية النفس وتزكيتها وترقيقها وإخضاعها لأمر ربها، من شهر رمضان وحَسَن أن يصحبنا ونصحبه لنغير ما بأنفسنا الأمارة وما بواقعنا المكتظ بالمآسي..

ولنستبشر خيرًا، فلقد مرت بأمة الإسلام أزماتٌ تفوق ما نحن فيه، وفتنٌ كقطع الليل المظلم، فما كُسرت لها إرادة ولا انطفأ في صدرها أمل..

بيد أن أئمة أهل السنة العاملين إزاء أوضاعها، اتبعوا طريقة سديدة، قوامها: جمع الأمة - عبر مجامع أو قنوات مؤسسية وعلماء موثوق بإخلاصهم وحنكتهم وصحة معتقدهم - على عدة بنود، تؤكد أولاً الثوابت من أمور الاعتقاد، ثم تحسم مواد الخلاف، وما على الحاكم أو المُشرِّع إلا أن يقوم بتقنينها وجمع الأمة حولها، وما على أئمة أهل السنة المتجردين من الحزبية والعصبية إلا أن يقوموا بنشرها ودعوة الناس إليها.

ولعل هذا هو سر تجددها، وما تجد بسببه كتب أصول الاعتقاد شاهدةً ومقيمةَ الحجة إما لها إن أراد الله بها خيراً، وإما عليها إن كانت الأخرى.. فتسمع عن اعتقاد الأوزاعي والثوري وابن عيينة وابن المديني والبخاري وأبي زرعة وأبي حاتم والتستري والطبري..

كما تقرأ (أصول السنة) للحميدي ولابن حنبل وللبربهاري، و(العقيدة الطحاوية) للطحاوي المصري، و(الإبانة) للأشعري، و(الشريعة) للآجري، و(أصول اعتقاد أهل السنة) للالكائي، و(النصيحة) للجويني، و(اعتقاد أهل السنة) للصابوني، و(الحجة) للأصبهاني، و(الاقتصاد في الاعتقاد) لعبد الغني المقدسي، و(لمعة الاعتقاد) لابن قدامة، و(الدرة المُضية) للسفاريني، و(التحف) للشوكاني، و(سُلم الوصول) وشرحها (معارج القبول) لحكمي.. إلخ، وقد حكينا نموذجاً حيًا لهذه التجربة ولجمع أمير المؤمنين (القادر بالله) الناس على ما عرف بـ (العقيدة القادرية)، وذلك بعدد شعبان ١٤٣٤هـ.

وتعجب عندما ترى هذه الاعتقادات متضمنة أشياء هي محل اتفاق، وعندما تراها أحياناً متضمنة أحكاماً فقهية من نحو (المسح على الخفين) - فيما يشبه في زماننا مسائل: النقاب وختان الإناث - بقصد التنبيه على أنها أعلامٌ في تمييز أهل السنة عمن ينكرونها من أهل البدع والضلال..

الأمر الذي يعكس مدى حرص الأوائل على

إزالة كل أسباب الخلاف، سواء ما تعلق منها: بأمور الاعتقاد مما لا يسوغ ولا يسع فيه الخلاف، عكس ما هو حاصل الآن من إصرار من البعض على: (جعل التعارض بين العقل والنقل أمراً وارداً)، وعلى (تقديم العقل حينذاك على النقل)، ومن (إخراج العمل عن مسمى الإيمان)، ومن (تأويل للصفات أو تفويضها)، إذ تلك أمور كان الخلاف فيها وسيظل يعرف بـ (خلاف التضاد)، كون الحق فيها واحداً لا يتعدد.. أو: بأمور سَعَوا إلى حسمها لئلا يَتخذ منها الرويبضة من المترخصين والدهماء بين الحين والآخر، وسيلة لتشتيت الأمة ومادة لاستنزاف طاقتها وجهدها، وأيضاً لئلا تُعطي فرصة للتطرف والقول بأن الدولة ضد الإسلام، إذ القاعدة عندهم كما هي عندنا: أن سلامة الدين والحفاظ على هوية الأمة لا تقل أهمية عن سلامة الوطن.

وحري بنا أن نلجأ في طريق تصويب أخطائنا ثم معالجة قضايا أمتنا، إلى ما كان عليه سلفنا، والسعي قبل ذلك إلى: نقض البيعات والتحزبات التي طالما فرقت الأمة وجعلتها شيعاً أياً كان مؤسسيها أو ما خلفته من تراث تأكَّدَ أن ضرره كان أكثر من نفعه، ولاسيما أن ضمن ما كان يدعو إليه الأوائل ترك هذا، وما اعتراف (الوليد الكرابيسي) بعد أن ألَّف من الكتب ما ألَّف، وبعد أن جمع أولاده قبل وفاته قائلاً لهم: "أوصيكم بواحدة إن لزمتموها كنتم بخير: عليكم بما كان عليه أصحاب الحديث؛ فإني رأيت الحق يدور معهم".

وأما قول أحمد وقد سُئل عنه فكلح وجهه: "إنما جاء بلاؤهم من هذه الكتب التي وضعوها، تركوا آثار رسول الله وأصحابه وأقبلوا على هذه الكتب"، إلا شاهد صدق على ما نقول.. إذ لا أحد أحق بسماعه وطاعته من الله ورسوله ومن الصحب ومن تبعهم، فإنه الحق الذي صدق فيه قول مالك: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا الذي أصلح أولها)، وقول غيره: (لأن أكون ذَنَباً في الحق، أحب إلي أن أكون رأساً في الباطل).. وإنما يتحقق التغيير -في واقعنا وعلى ضوء ما ذكرنا -بالآتي:

أولاً: استيعاب الأحاديث التي نبأت بما يكون في آخر الزمان:

كونها رسمت ما يجب أن يكون عليه حال الأمة تجاه ما يشغب به البعض حول واجباتها الآنية، وتحصنها من الوقوع تحت تأثير المفاهيم والتصورات الخاطئة والشائعة.. وذلك من نحو: حديث حذيفة المتفق عليه، وفيه قوله: كان الناس يسألون رسول الله عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت: يا رسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟، قال: (نعم)، قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير، قال: (نعم وفيه دخن)، قلت: وما دخنه، قال: (قوم يهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر)، قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟، قال: (نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: (هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا)، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟، قال: (تلزم جماعة المسلمين وإمامهم)، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟، قال: (فاعتزل تلك الفرق كلها ولو أن تعضَّ بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك)..

وحديث: (تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله تعالى، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها، ثم تكون ملكاً عاضًا فتكون ما شاء الله لها أن تكون ثم يرفعها، ثم تكون ملكاً جبرية فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة) ثم سكت.. وحديث مسلم: (يكون في آخر الزمان خليفة يُقسِّم المال -وفي رواية: يكون في آخر أمتي خليفة يَحثي المال حثياً- ولا يَعدُّه).. وعن تلك الأخيرة وأنها في مهدي أهل السنة المنتظر، جاء قوله: (لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطوَّل الله ذلك اليوم حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي، واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وجوراً).

وتكاد هذه الأحاديث الأربعة تصوِّر واقعنا وشبهاته، إذ تفيد الثلاثة الأخيرة منها، أن ثمة خلافة ستقع آخر الزمان بعد حكومات جبرية شاء الله لها أن تسقط تباعاً، وأنها ستكون على منهاج النبوة وفي مهدي أهل السنة، وفي ذلك رَدٌّ على مَن ادعاها لنفسه دون مهدي أهل السنة ومن غير أن يجعلها على منهاج النبوة.. ولكن هيهات! فالأمر نافذ على ما أخبر به من لا ينطق عن الهوى بأبي هو وأمي.

بينا يوجب الحديث الأول منها: لزوم طاعة مَن آتاه الله الملك من المسلمين وأراده له أزلاً، وحَرَّم

علينا الخروج عليه بالقول أو الفعل ما لم يأت كفراً بواحاً، بغض النظر عن أية اعتبارات أخرى.. كما يُحرِّم الحديث تحريماً قاطعاً أن تَشق فرقة - مهما أوتيت من علم وتقى - صف عامة المسلمين وسوادهم الأعظم وتدعي أنها جماعتهم، أو تأخذ لنفسها البيعة العامة فتكون غصَّة بحلق كل دولة، وبخاصة لو كانت هذه الدولة دار إسلام يقام ويؤذن فيها للصلاة.. إذ في ذلك من المآخذ الشرعية:

وجود بيعات من غير تمكين، لأناس غير ممكنين ولا أصحاب شوكة ولا سلطان، وهذا ما لا يجوز شرعاً وبحقه يقول شيخ الإسلام في منهاج السنة ١١٥/١: "النبي أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين، الذين لهم سلطان يَقدرُون به على سياسة الناس، لا بطاعة معدوم ولا مجهول، ولا من ليس له سلطان ولا قدرة على شيء أصلاً".

وفيه ٥٢٧/١: "بل الإمامة عند أهل السنة تثبت بموافقة أهل الشوكة عليها - يعني: لكونهم الأدرى بما يحيق بالبلاد من أخطار والأقدر على فهم سياسات أعداء الإسلام - ولا يصير الرجل إماماً حتى يوافقه أهل الشوكة عليها الذين يحصل بطاعتهم له مقصود الإمامة، فإن المقصود من الإمامة إنما يحصل بالقدرة والسلطان"..

وكذا عقدُها في كل دولة من دول المسلمين لمن ينازع فيها الأمر أهله، بما يعني جعلها لأكثر من واحد في كل دور الإسلام، وهذا أيضاً لا يجوز، لحديث مسلم: (من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان)، وفي أخرى: (فاقتلوه)، "وهذا -على حد قول ابن كثير في تفسير (إني جاعل في الأرض خليفة) -قول الجمهور، وقد حكا الإجماع عليه غير واحد، منهم إمام الحرمين" ابن الجويني، ونص كلامه كما في (الإرشاد إلى قواطع الأدلة في الاعتقاد) ص١٦٩: "والذي عندي فيه، أن عقد الإمامة لشخصين في صقع واحد متضايق الخطط والمَخَاليف غير جائز، وقد حصل الإجماع عليه".

وهو الموافق لقول الأثبات من المحدَثين، ففي المنتقى من فتاوى الشيخ الفوزان ٣٦٧/١: "البيعة لا تكون إلا لولي أمر المسلمين، وهذه البيعات المتعددة مبتدَعة، وهي من إفرازات الاختلاف، والواجب على المسلمين الذين هم في بلد واحد، أن تكون بيعتهم واحدة لإمام واحد، ولا يجوز المبايعات المتعددة" اهـ..

كما أن فيه من المآخذ: الخلط بين الإمامة العظمى والصغرى، وارتكاب ما نهى عنه النبي من مفارقة جماعة المسلمين، وعدم الصبر على الإمام، وخشية أن يموت المسلم الذي انشق عنهما ميتة جاهلية، لصريح قوله عليه السلام: (من رأى من أميره شيئاً يكرهه، فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية).

وقوله بحديث مسلم: (من كره من أميره شيئاً فليصبر عليه، فإنه ليس أحد من الناس خرج من السلطان شبراً فمات عليه، إلا مات ميتة جاهلية).. كما أن فيه مظنَّة الوقوع في بدعة الخوارج ومن عناهم النبيّ بقوله: (دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها)، كونهم وقد أخذوا البيعات لأنفسهم واعتبروا أنفسهم جماعة المسلمين، عَدُّوا غيرهم بطبيعة الحال خارجين عن جماعة المسلمين، وما يجري في أرض الواقع شاهد صدق على فساد هذا المنهج وما أحدثه ولا يزال من فتن لا قِبَل لأمة الإسلام بها.

ولا يَـرِدُ على ما ذكرنا أنَّا ابتلينا بحكام لا يهتدون بهدي النبي ولا يستنون بسنته، لأن جوابه: قول شيخ الإسلام بـ (منهاج السنة) ٥٥٦/١: "وهو عليه السلام قد أخبر أنه بعد ذلك يقوم أئمة لا يهتدون بهديه ولا يستنون بسنته، وبقيام رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان الإنس، وأمر مع هذا بالسمع والطاعة للأمير، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك، فتبين أن الإمام الذي يطاع: هو من كان له سلطان، سواء كان عادلاً أو ظالماً"، وجوابه كذلك: أن ذلك ناشئ عن قصورنا نحن في التربية والدعوة إلى ذلك، ففي الخبر: (كما تكونوا يُولى عليكم).

وقد ذكر (د. جمال الدين محمود) الأمين العام للشئون الإسلامية في مقال بعنوان (قضية تطبيق الشريعة بين المزايدة والمعاندة) نشر بأهرام ١٩٨٤/٤/١٠م: "أن كل تغير في المجتمع نحو الإسلام بكل قيمه وأخلاقه وتشريعه،

يحتاج إلى جهد أكبر وأعظم وأجل من مجرد إصدار قوانين، والتغيير الذي ينبغي أن يحدث: هو في قيم الناس وأخلاقياتهم التي ابتعدت كثيراً عن قيم الإسلام وأخلاقه.. أما المزايدة في قضية القوانين فحسب، بغض النظر عن القيم والأخلاق الإسلامية، فهو تبسيط يصل إلى حد السذاجة في معالجة مشكلات المجتمع" ا.هـ.

ثانيها: حسم سائر ما يتعلق بأمور الإمامة، كونها محط الاهتمام ومصدر الشبهات لدى شبابنا بخاصة:

وذلك من نحو: الانشغال عن الدعوة بالحرص على الإمارة والمناصب بالمخالفة لصريح قوله عليه السلام لابن سَمُرة: (لا تسأل الإمارة، فإنك إن.. أعطيتها عن مسألة وُكلت إليها).

وقوله في المتفق عليه: (إنا والله لا نُولي هذا العمل أحداً سأله أو أحداً حرص عليه).. ومن نحو: جعل الخلافة غاية، وتصويرها وكأنها أصلٌ من أصول الإسلام، إذ تلك عقيدة الروافض والمعتزلة والخوارج، فضلاً عن أن لفظ الحديث: (فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام) نصٌ في أن عدم وجودها من الأساس أمر وارد، بل إن لفظ: (فاعتزل تلك الفرق) نص في اعتزال الفرق التي تنازع في هذا.

ثالثاً: التزام السنة بتقديمها على ما سواها:

ليَخرج من ذلك تلك الأقوال الشاذة والمرجوحة التي يختارها المُفْتون أحياناً ليعارضوا بها ما صح عن رسول الله بحجة أن الدين يسر، وليَدخل أولئك الذين عناهم ابن القيم في الصواعق صـ٦٢٧ بأنهم: "يتركون أقوال الناس لها.. ويَعرضون أقوال الناس عليها فما وافقها قبلوه وما خالفها طرحوه.. ويَدعون عند التنازع إلى التحاكم إليها دون آراء الرجال وعقولها.. وأنه إذا صحت لهم السنة عن رسول الله لم يتوقفوا عن العمل بها واعتقاد موجبها على أن يوافقها موافق، بل يبادرون إلى العمل بها من غير نظر إلى من وافقها أو خالفها..

وقد نص الشافعي على أن الواجب على من بلغته السنة الصحيحة أن يقبلها وأن يعاملها بما كان يعاملها به الصحابة حين يسمعونها من رسول الله، وقال: (أجمع الناس على أن من استبانت له سنة، لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس كائناً من كان)"، ومن أبرز سمات أهل السنة أيضاً - والكلام لا يزال لابن القيم -: "أنهم لا ينتسبون إلى مقالة معينة ولا إلى شخص معين غير الرسول.. وأنهم ينصرون الحديث الصحيح والآثار السلفية، وأهل البدع ينصرون مقالاتهم ومذاهبهم"، وهذا هو.

ولئن أساغ البعض لنفسه إهمال النصوص فيما ذكرنا، فإنه أولى بأن يُعملَها: العلماءُ العاملون المتجردون في أنحاء المعمورة وبخاصة الأزهر، فهؤلاء - دون ذوي الرأي والهوى والبدع واستجلاب البلاء والخراب على أمة الإسلام - هم أولى بالاتباع لو صحت عقائدهم وخلصت نواياهم، ولاسيما أن معهم إلى جانب هذه النصوص: اتفاق الصحابة وإجماع الأمة.. ومما يجب لفت انتباههم إليه من أمور الاعتقاد التي استقر عليها الأوائل بناءً وإضافةً لما سبق: (جمع الناس على الإمام والدعاء له علناً والغزو معه)، (وتجنب أهل البدع المخالفين لما سقناه ومخاصمتهم)، و(حرمة القتال في الفتنة)..

ففي (عقيدة السلف) للصابوني مثلاً ما ملخصه: "إن أصحاب الحديث المتمسكين بالكتاب والسنة يعرفون ربهم بصفاته، ومن مذهبهم أن الإيمان قول وعمل، وأن المؤمن وإن أذنب ذنوباً فإنه لا يَكْفر بها، ويرون الجمعة والعيدين خلف كل إمام مسلم، براً كان أو فاجراً، ويرون جهاد الكفار معهم وإن كانوا جوَرة فجرة، ويرون الدعاء لهم بالإصلاح والتوفيق والصلاح، ولا يرون الخروج عليهم بالسيف ويرون قتال الفئة الباغية، ويتجانبون ويبغضون أهل البدع الذين أحدثوا في الدين ما ليس منه، ولا يُحبونهم ولا يَصحبونهم ولا يسمعون كلامهم ولا يجالسونهم، ويرون صون آذانهم عن سماع أباطيلهم التي إذا مَرَّت بالآذان وقَرَّت في القلوب ضَرَّت، وجَرَّت إليها من الوساوس والخطرات الفاسدة ما جَرَّت.

وهذه الجُمل أجمعوا عليها كلها، ولم يثبت عن أحد منهم ما يُضادها، واتفقوا مع ذلك على: القول بقهر أهل البدع وإذلالهم وإخزائهم وإبعادهم وإقصائهم والتقرب إلى الله بمجانبتهم ومهاجرتهم"، وبكل هذا نطق جميع أصحاب العقائد ولم يشذ عن ذلك منهم أحد، والله نسأل أن يحيينا على حَيُوا عليه ويميتنا على ماتوا عليه.. والحمد لله رب العالمين.



الحلقة الأولى

وسائل الخشوع في الصلاة

الْحَمْدُ للَّه الَّذي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا، وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا، والصلاة والسلام على نبينا محمد، الذي أرسله ربه هادياً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

أَمَّا بَعْدُ: فإن للصلاة منزلة كبيرة في الإسلام، فهي أول ما يحاسبُ اللهُ تعالى عليه المسلم من العباداتِ يوم القيامة.من أجل ذلك، أحببت أن أُذَكِّرَ نفسي وقُرَّاء مجلة التوحيد المباركة الكرام بوسائل الخشوع في الصلاة لكي تكون مقبولة عند الله تعالى. فأقول وبالله تعالى التوفيق:

تعريف الخشوع في الصلاة:

الْخُشُوعُ فِي الصَّلَاةِ: هُوَ إقبالُ المسلم على الصلاة بقلبه، مُستحضراً عظمة الله تعالى، ومُتدبراً في معاني آيات القرآن الكريم، ومُتفكراً في جميع الأقوال والأفعال المشروعة في الصلاة، مع المحافظة على شروط الصلاة وأركانها، وسُنَنِها.

قال الإمامُ القرطبي (رحمه الله): الْخُشُوعُ مَحَلُّهُ الْقَلْبُ، فَإِذَا خَشَعَ خَشَعَتِ الْجَوَارِحُ كُلُّهَا لِخُشُوعِهِ، إِذْ هُوَ مَلِكُهَا. (تفسير القرطبي- ج١٢- ص١٠٣).

إعداد/ صلاح نجيب الدق

روى الشيخانِ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ. (البخاري حديث: ٥٢، مسلم حديث: ١٥٩٩).

قال الإمامُ ابن رجب الحنبلي (رحمه الله): أصلُ الخشوع الحاصل في القلب، إنما هو من معرفة الله، ومعرفة عظمته، وجلاله، وكماله، فمَن كان بالله أعْرَف فهو له أخْشَع. (الخشوع في الصلاة لابن رجب الحنبلي- ص١٣).

وسائل الخشوع في الصلاة: يُمكنُ أن نُوجز وسائل الخشوع في الصلاة في الأمور التالية:

(١) التوسل إلى الله بالدعاء للخشوع في الصلاة:

الدعاءُ من أفضل الأسباب التي تجلب الخشوع في الصلاة.فيجب على المسلم أن يتضرع إلى الله تعالى ويسأله التوفيق للخشوع الذي يحبه في الصلاة.فالدعاء هو دأب عباد الله الصالحين فإذا خَرَجَ الدعاءُ من قلب سليم،ونفس صافية، وجوارح خاشعة لله تعالى،وَجَدَ إجابة كريمة من رب رحيم بعباده المتقين. ولقد

وعدنا الله سبحانه بأن يجيب دعاء من دعاه.
فقال سبحانه: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴾ (البقرة: ١٨٦)
وقال جل شأنه: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ (غافر: ٦٠).
روى الترمذيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: ادْعُوا اللهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بالإِجَابَةِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ لا يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاهٍ. (حديث صحيح) (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ٢٧٦٦).

(٢) معرفة أن الصلاة هي أول ما يحاسب الله عليه العبد يوم القيامة:

من الأسباب التي تجعل المسلم يخشع في صلاته أن يعرف أنَّ الصلاة هي أول ما يحاسبه الله تعالى عليها من العبادات يوم القيامة.
روى الترمذيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: إِنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ به الْعَبْدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عَمَلِه صَلَاتُهُ فَإِنْ صَلُحَتْ فَقَدْ أَفْلَحَ وَأَنْجَحَ وَإِنْ فَسَدَتْ فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِه شَيْءٌ قَالَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبْدِي مِنْ تَطَوُّعٍ؟ فَيُكَمَّلَ بِهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الْفَرِيضَةِ ثُمَّ يَكُونُ سَائِرُ عَمَلِه عَلَى ذَلِكَ». (حديث صحيح) (صحيح الترمذي- للألباني- حديث ٣٣٧).

(٣) إسباغ الوضوء

الوُضُوءُ شرطٌ من شروط صحة الصلاة، فإذا أَحْسَنَ المسلم الوضوء، بأداء فرائضه وسُنَنه، كان ذلك مُعيناً له على الخشوع في الصلاة.
روى مسلمٌ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: مَا مِنَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ تَحْضُرُهُ صَلَاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهَا وَخُشُوعَهَا وَرُكُوعَهَا، إِلاَّ كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ، مَا لَمْ يُؤْتِ (يَعْمَل) كَبِيرَةً وَذَلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ. (مسلم حديث: ٢٢٨).

(٤) وضع اليد اليمنى على اليسرى على الصدر:

إنَّ وَضْعَ المصلي يده اليمنى على يده اليسرى على صدره من الوسائل التي تجعل المسلم يخشع في صلاته.وقد جاءت السُّنَّة بذلك.
روى البخاريُّ عَنْ أَبِي حَازِمٍ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: كَانَ النَّاسُ يُؤْمَرُونَ أَنْ يَضَعَ الرَّجُلُ الْيَدَ الْيُمْنَى عَلَى ذِرَاعِه الْيُسْرَى فِي الصَّلَاةِ. قَالَ أَبُو حَازِمٍ لا أَعْلَمُهُ إِلا يَنْمِي (أَيْ يَرْفَعُ) ذَلِكَ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم. (البخاري حديث ٧٤٠)
قال الإمامُ ابن حجر العسقلاني (رحمه الله): قَالَ الْعُلَمَاءُ الْحِكْمَةُ فِي هَذِهِ الْهَيْئَةِ أَنَّهُ صِفَةُ السَّائِلِ الذَّلِيلِ وَهُوَ أَمْنَعُ مِنَ الْعَبَثِ وَأَقْرَبُ إِلَى الْخُشُوعِ.
وَمِنَ اللَّطَائِفِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ: الْقَلْبُ مَوْضِعُ النِّيَّةِ، وَالْعَادَةُ أَنَّ مَنِ احْتَرَزَ عَلَى حِفْظِ شَيْءٍ جَعَلَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ. (فتح الباري- لابن حجر العسقلاني- ج٢- ص٢٦٣).
روى ابنُ خزيمة عَنْ وَائِلِ بْنِ حُجْرٍ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَوَضَعَ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى يَدِهِ الْيُسْرَى عَلَى صَدْرِه. (حديث صحيح) (إرواء الغليل للألباني ج١ رقم ٣٥٢).

(٥) النظر إلى موضع السجود:

النظرُ إلى موضع السجود أثناء إقامة الصلاة يساعد المصلي على الخشوع في الصلاة؛ ومن السُّنَّة أن ينظرَ المصلي إلى موضع سجوده.
روى الحاكمُ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «دَخَلَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم الْكَعْبَةَ مَا خَلَفَ بَصَرُهُ مَوْضِعَ سُجُودِه حَتَّى خَرَجَ مِنْهَا».
(حديث صحيح) (صفة صلاة النبي- للألباني- ص٦٩).

(٦) ثواب الصلاة يكون بمقدار الخشوع فيها:

من الوسائل التي تُعينُ على الخشوع في الصلاة أن يَعْلَمَ المسلم أن ثوابَ الصلاة يكون بمقدار الخشوع فيها.

روى أبو داودَ عَنْ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلاَّ عُشْرُ صَلاتِهِ تُسْعُهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدْسُهَا خُمْسُهَا رُبُعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا» (حديث حسن)(صحيح أبي داود للألباني- حديث: ٧٩٦).

هذا الحديث دليل على أن ثواب الصلاة يختلف باختلاف الأشخاص بحسب الخشوع والتدبر فيها. (فيض القدير- عبد الرءوف المناوي- ج٢- ص٣٣٣).

قال عبدُ الله بن عَبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لَيْسَ لك مِنْ صَلاَتك (ثواب الصلاة) إلاَّ مَا عَقَلْت مِنْهَا. (مجموع فتاوى ابن تيمية- ج٧- ص٣١).

قالَ عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: لا يُكْتَبُ للرَّجُلِ مِنْ صَلاَتِهِ مَا سَهَا عَنْهُ. (الزهد- لابن المبارك- ص٤٥٩- رقم: ١٣٠٠).

(٧) معرفة أن الخشوع هو روح الصلاة:

أخي المسلم الكريم: اعْلَمْ أنَّ الخشوع في الصلاة بمنزلة الروح من الجسد، فإذا فُقدت الروح مات الجسد، فالخشوع روح الصلاة.

قال الإمامُ القرطبي (رحمه الله): كَانَ الرَّجُلُ مِنَ الْعُلَمَاءِ إذا أقامَ الصَّلاَةَ وَقَامَ إِلَيْهَا يَهَابُ الرَّحْمَنَ أَنْ يمد بصره إلى شيء، وَأَنْ يُحَدِّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا. (تفسير القرطبي- ج١٢- ص١٠٣).

(٨) الاستعاذة بالله تعالى من الشيطان:

إنَّ الاستعاذةَ بالله سبحانه من الشيطان من أفضل الأسباب التي تجعلُ المسلم يَخشع في صلاته.

معنى الاستعاذة:

الاسْتِعَاذَةُ: هِيَ الالْتِجَاءُ إِلَى اللَّهِ، وَالاعْتِصَامُ بِهِ، وَالالْتِصَاقُ بِجَنَابِهِ مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي شَرٍّ. (تفسير ابن كثير- ج١- ص: ١٧٥).

قال الله تعالى: (فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) (النحل: ٩٨).

قَالَ الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ صلى الله عليه وسلم: إِذَا أَرَادُوا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، أَنْ يَسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ. (تفسير ابن كثير ج٨ص: ٣٥٣).

وقال تعالى: (وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ) (فصلت: ٣٦).

قال الإمامُ ابنُ كثير (رحمه الله): شَيْطَانُ الْجِنِّ لاَ حِيلَةَ فيه إِذَا وَسْوَسَ إِلاَّ الاسْتِعَاذَةَ بِخَالِقِهِ الَّذِي سَلَّطَهُ عَلَيْكَ، فَإِذَا اسْتَعَذْتَ بِاللَّهِ وَلَجَأْتَ إِلَيْهِ، كَفَّهُ عَنْكَ وَرَدَّ كَيْدَهُ. (تفسير ابن كثير- ج١٢- ص: ٢٤٣).

النبي صلى الله عليه وسلم يستعيذ بالله من الشيطان:

كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ يستعيذُ بالله تَعَالَى مِنَ الشَّيْطَانِ. روى أبو داودَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّهُ عليه وسلم إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ (أيْ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ) يَقُولُ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ (نوع مِنَ الجنون) وَنَفْخِهِ (الْكِبْر)، وَنَفْثِهِ (الشِّعْر المذموم)، ثُمَّ يَقْرَأُ.(أيْ القرآنَ) (حديث صحيح) (صحيح أبي داود- للألباني- حديث: ٧٠١).

(٩) عدم النظر إلى ما يشغل أثناء الصلاة:

إنَّ اجتنابَ المسلم النظر إلى ما يشغله أثناء صلاته من الأسباب التي تساعد على الخشوع في الصلاة.

روى الشيخان عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم صَلَّى فِي خَمِيصَةٍ لَهَا أَعْلاَمٌ، فَنَظَرَ إِلَى أَعْلاَمِهَا نَظْرَةً، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ: «اذْهَبُوا بِخَمِيصَتِي هَذِهِ إِلَى أَبِي جَهْمٍ وَأْتُونِي بِأَنْبِجَانِيَّةِ أَبِي جَهْمٍ، فَإِنَّهَا أَلْهَتْنِي

آنفا عَنْ صَلاَتي.»(البخاري حديث: ٣٧٣، ومسلم حديث: ٥٥٦).

فائدة مهمة:

هذا الحديثُ دليلٌ على وُجوب اجْتِنَابِ كُلِّ مَا يَشْغَلُ عَنْ الصَّلاة وَيُلْهِي عَنْهَا وَالْحَضّ عَلى الإقْبَال عَلى الصَّلاة وَالْخشوع فيهَا. (طرح التثريب- للعراقي- ج٢- ص٣٧٧).

(١٠) معرفة أن الصلاة صلة بين المسلم وبين الله تعالى:

من وسائل الخشوع في الصلاة أن يتذكر المسلم أن الصلاة صلةٌ ولقاءٌ كريمٌ مع الله تعالى، الحي القيوم، الذي له ما في السماوات وما في الأرض، فيجب أن يتميز هذا اللقاء بالخشوع والخضوع لله سبحانه.

روى مسلمٌ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: قَالَ اللَّه تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلاَةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) قَالَ اللَّه تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: (الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) قَالَ اللَّه تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ: (مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ) قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي فَإِذَا قَالَ: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) قَالَ هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ)قَالَ هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ.(مسلم حديث ٣٩٥).

روى الشيخان عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلَاتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ. (البخاري حديث: ٤٠٥، مسلم حديث: ٥١).

قَوْلُهُ: (فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ)فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ إِشَارَةٌ إِلَى إِخْلَاص الْقَلْب وَحُضُوره وَتَفْرِيغه لِذِكْرِ اللَّه تَعَالَى وَتَمْجِيده وَتِلَاوَة كِتَابه وَتَدَبُّره. (مسلم بشرح النووي- ج ٥- ص٤٠).

(١١) التفكر في معاني آيات القرآن الكريم:

إن التفكر في معاني آيات القرآن الكريم التي يقرأها المسلم في صلاته أو يسمعها من الإمام في صلاة الجماعة الجهرية له أثرٌ عظيمٌ في الخشوع في الصلاة، من أجل ذلك حثنا الله تعالى على التدبر عند تلاوة القرآن.

قال تعالى: ﴿ وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٢٠٤).

قال الإمامُ ابنُ جرير الطبري (رحمه الله): يَقُولُ تَعَالَى ذِكْرُهُ: إِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ عَلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، فَأَصْغُوا لَهُ سَمْعَكُمْ لِتَتَفَهَّمُوا آيَاتِهِ وَتَعْتَبِرُوا بِمَوَاعِظِهِ وَأَنْصِتُوا إِلَيْهِ لِتَعْقِلُوهُ وَتَتَدَبَّرُوهُ، وَلَا تَلْغُوا فِيهِ فَلَا تَعْقِلُوهُ. (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) يَقُولُ: لِيَرْحَمَكُمْ رَبُّكُمْ بِاتِّعَاظِكُمْ بِمَوَاعِظِهِ، وَاعْتِبَارِكُمْ بِعِبَرِهِ، وَاسْتِعْمَالِكُمْ مَا بَيَّنَهُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ فَرَائِضِهِ فِي آيِهِ. (تفسير الطبري- ج١٠- ص٦٥٨).

ولقد ذمَّ الله تعالى الكافرين لعدم تدبرهم لآيات القرآن الكريم.قال سبحانه: (أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا) (محمد: ٢٤).

(١٢) تذكر أن الموت يأتي فجأة:

يجبُ علينا جميعاً أن نتذكر أن الموتَ يأتي بغتة،ولا يدري أحدٌ من الناس متى وأين وكيف سينتهي أجله.

قال سُبْحَانَه: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴾ (لقمان: ٣٤).

إن تذكر الموت وسكراته من الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة.فإذا دخل المسلمُ في صلاته وخشي أن تكون هذه الصلاة هي آخر صلاة يصليها، فإنه سيخشع في صلاته، ولا شك في ذلك.

روى ابنُ ماجه عَنْ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ عَلِّمْنِي، وَأَوْجِزْ، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ، وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ». (حديث حسن) (صحيح ابن ماجه- للألباني- حديث: ٤١٧١).

وللحديث بقية إن شاء الله.

القرآن لكل الدهور والأزمان



إعداد/ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي
رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه وبعد:

جاء القرآن لهداية البشر وإسعادهم، والاهتداء به متوقف على فهمه فهماً صحيحاً، وفهمه الصحيح متوقف على أمور: منها فقه أسرار اللسان العربي فقهاً ينتهي إلى ما يُسمَّى ملكة وذوقاً، ومنها الاطلاع الواسع على السنة القولية والعملية، التي هي شرح وبيان للقرآن، ومنها استعراض القرآن كله عند التوجه إلى فهم آية منه أو إلى درسها؛ لأن القرآن كل لا يختلف أجزاؤه، ولا يزيغ نظمه، ولا تتعاند حُجَجه، ولا تتناقض بيّناته.

ومن ثَمَّ قيل: إن القرآن يُفسِّر بعضه بعضاً، بمعنى أنَّ مبيَّنه يشرح مجمله، ومقيَّده يبيِّن المراد من مطلقه، إلى آخر الأنحاء التي جاء عليها القرآن في نظمه البديع، وترتيبه المعجز، ومنها الرجوع في مناحيه لبعضها، وكلُّ هذه الأمور لا تتهيَّأ إلاَّ لصاحب الفطرة السليمة، والتدبُّر العميق، والقريحة اليقظة، والذهن الصافي، والذكاء الوهاج.

والقرآن حُجَّة على غيره، وليس غيره حجَّة عليه، فبئس ما تفعله بعض الطوائف الخاضعة للتمذهب من تحكيم الاصطلاحات المذهبية، والآراء الفقهية، أو العقلية فيه، وإرجاعه بالتأويل إليها إذا خالفته.

ومن الخطل، بل من الخذلان المفضي بصاحبه إلى ما يُستعاذ منه أن يجعل الرأي الاجتهادي غير المعصوم أصلاً، ويجعل القرآن المعصوم فرعاً، وأن يعقد التوازن بين كلام المخلوق وكلام الخالق، إنَّ هذا لهو الضلال البعيد.

مفاسد الابتعاد عن هداية القرآن:

ما أضاعَ المسلمينَ، ومزَّق جامعتهم، ونزل بهم إلى هذا الدركَ من الهوان إلاَّ بُعدُ هم عن هداية القرآن، وجعلهم إياه عضين، وعدم تحكيمهم له في أهواء النفوس ليَكفكف منها، وفي مزالق الآراء ليأخذ بيدهم إلى صوابها، وفي نواجم الفتن ليُجلِّي غماءها، وفي معترك الشهوات ليكسر شرَّتها، وفي مفارق سُبل الحياة ليهدي إلى أقومها، وفي أسواق المصالح والمفاسد ليميِّز هذه من تلك، وفي مجامع العقائد ليميِّز حقَّها من باطلها، وفي شُعَب الأحكام ليقطع فيها بفصل الخطاب، وإنَّ ذلك كلَّه لموجود في القرآن بالنصِّ أو بالظاهر أو بالإشارة والاقتضاء، مع مزيد تعجز عنه عقول البشر مهما ارتقت، وهو تعقيب كلِّ حُكم بحكمة، وكلِّ أمر بما يُثبِّته في النفس، وكلِّ نهي بما يُنفر عنه؛ لأنَّ القرآن كلامُ خالق النفوس، وعالم ما تكنُّ وما تُبدي، ومركِّب الطبائع، وعالم ما يصلح وما يفسد، وبارئ الإنسان وسطاً بين عالمين: أحدهما: خير محض. والآخر: شر محض.

فجعله ذا قابلية لهما من غير أن يكون أحدهما ذاتيًّا فيه، ليبتليه أيشكر أم يكفر، وليمتحنه أيَّ الطريقين يختار؛ كلُّ ذلك ليجعل سعادته بيده، وعاقبته باختياره، وتزكيته أو تدسيته من كسبه، وحتى يهلك عن بيِّنة، أو يحيا عن بيِّنة.

ما كان الصدر الأول من سلفنا صالحاً بالجبلَّة والطبع، فالرعيل الأول منهم- وهم الصحابة- كانوا في جاهلية جهلاء كبقية العرب، وإنما أصلحهم القرآن لما استمسكوا بعروته، واهتدوا بهديه، ووقفوا عند حدوده، وحكّموه في أنفسهم، وجعلوا منه ميزاناً لأهوائهم وميولهم، وأقاموا شعائره المزكية، وشرائعه العادلة في أنفسهم، وفيمن يليهم، كما أمر الله أن تُقام، فبذلك أصبحوا صالحين مصلحين، سادة في غير جبرية، قادة في غير عنف.

ولا يصلح المسلمون ويسعدون إلا إذا رجعوا إلى القرآن، يلتمسون فيه الأشفية لأدوائهم، والكبح لأهوائهم، ثم التمسوا فيه مواقع الهداية التي اهتدَى بها أسلافهم.

وإذا كان العقلاء كلهم مجمعين على أن المسلمين الأولين صلحوا فأصلحوا العالم، وساده فلم يبطروا، وساسوه بالعدل والرفق، وزرعوا فيه الرحمة والحب والسلام، وأن ذلك كله جاءهم من هذا القرآن؛ لأنَّه الشيء الجديد الذي حوَّل أذهانهم، وهذَّب طباعهم، وثبَّت الفضائل في نفوسهم، فإن الإجماع على ذلك يُنتج لنا أنَّ سبب انحطاط المسلمين في القرون الأخيرة هو هجرهم للقرآن، ونبذه وراء ظهورهم واقتصارهم على حفظ كلماته.

وحفظ القرآن- وإن كان فضيلة- لا يغني غَناء ما لم يُفهم، ثم يُعمل به.

أسباب هجر القرآن:

وهجر المسلمين للقرآن يُردُّ إلى أسباب، بعضها آتٍ من نفوسهم، وبعضها آتٍ من خارجها.

فمن الأوَّل: افتتانهم بآراء الناس، وبالمصطلحات التي تتجدَّد بتجدُّد الزَّمان، ومع طول الأمد رانت الغفلة، وقست القلوب، وطغت فتنة التقليد، وتقديس الأئمة والمشايخ، والعصبية للآباء والأجداد، وغلت طوائف منهم في التعبد، فنجمت ناجمة التصوف والاستغراق، فاختلَّت الموازنة التي أقامها القرآن بين الجسم والروح، وغلت طوائف أخرى في تمجيد العقل، فاستشرف إلى ما وراء الحدود المحددة له، وتسامى إلى الحظائر الغيبية، فتشعَّبت به السبل إلى الحق في معرفة الله وتوحيده، ونجمت لذلك ناجمة علم الكلام، وما استتبعه من جدل وتأويل وتعطيل، وتشابهت السبل على عامة المسلمين؛ لكثرة هذه الطوائف، فكان هذا التفرق الشنيع في الدين أصوله وفروعه.

وفي غمرة هذه الفتن بين علماء الدين، ضاع سلطانهم الديني على الأمَّة، فاستبدَّ بها الملوك، وساقوها في طريق شهواتهم، فأفسدوا دينها ودنياها، وكان ما كان من هذه العواقب المحزنة.

ومن الثاني: تلك الدسائس الدخيلة التي صاحبت تاريخ الإسلام من حركات الوضع للأحاديث، إلى هجوم الآراء والمعتقدات المنافية للقرآن، إلى ما ادُّخر لزماننا من إلقاء المبشرين والمستشرقين للشبهات في نصوص القرآن عن عمد؛ ليصدوا المسلمين عن هديه، وإن خطر هذه الفتنة الأخيرة لأعظم مما يتصوَّره علماؤنا، ويقدِّره أولياء أمورنا.

هذه العوامل مجتمعة ومفترقة، وما تبعها أو لازمها من عوامل فرعية هي التي باعدت بين المسلمين وبين قرآنهم، فباعدت بينهم وبين الخير والسعادة والعزة، وأصبحوا- كما يرى الرائي- أذلة مستعبدين، ولا يزالون كذلك ما داموا مجانبين لسنن القرآن، معرضين عن آياته وإرشاداته، غافلين عما أرشد إليه من السنن الكونية.

ولو أنهم تواردوا على الاستمساك به في هذه القرون الأربعة عشر، لكانوا هم السابقين بإرشاده إلى اكتشاف أسرار الكون، واختراع هذه العجائبِ الآلية، ولم يكن موقفهم منها موقف المكذِّب أولاً، المندهش آخراً.

ثمرات تدبر القرآن والتأمل في آياته:

ففي القرآن آيات للمتوسِّمين، وإرشاد للعقل البشري، يتدرَّج مع استعداده، وفيه من الكشف عن غرائب النفوس وألوانها، وعن حقائق الكون وأسرار مواليده، ما يسير بمتدبِّره رويداً رويداً، حتى يضع يده على الحقيقة، ويكشف له عن وجهها، ويكاد يكون من البديهيات فيه ما يُقرِّره في أطوار الأجنة، وتزاوج النبات، وتكوُّن المطر، وتصاريف الرياح، وتكوير الليل على النهار، وإثبات الصلة بين علويات هذا الكون وسفلياته، ولكن المسلمين ظلوا غافلين حتى عن هذه البديهيات، إلى أن جاءتهم من غير طريق قرآنهم، ثم دلهم القرآن على نفسه، فلاذوا بالفخر الكاذب، وربَّما دلَّهم على مواقع هذه الأشياء في القرآن مَن ليس من أهل القرآن، وإنَّ هذا

لهو الخذلان المبين.

وما زاد المسلمين ضلالاً عن منبع الهداية وعماية عنها إلا فريق من العلماء، وضعوا أنفسهم في موضع القدوة والتعليم، وطوائف من غلاة المتصوفة، انتحلوا وظيفة التربية والتقريب من الله.

فهم الذين أبعدوهم عن القرآن، وأضلُّوهم عن سبيله، بما زينوا لهم من اتباع غير سبيله، وبما أوهموهم أنَّه عالٍ على الأفهام، وما دَرَوْا بأنَّ من لازم هذا المذهب كفر، وهو أنَّه إذا كان لا يُفهم فإنزاله عبث، وأنَّى يكون هذا؟

ومنزّله- تعالت أسماؤه- يصفه بأنَّه عربي مبين، وأنَّه غير ذي عوج، وأنَّه ميسر للذكر، وينعته بأنَّه يهدي للتي هي أقوم، وكيف يهدي إذا كان لا يُفهم؟

ومن عجيب أمر هؤلاء وهؤلاء أنَّهم يصدُّون في شأن القرآن عن هوًى لا عن بصيرة، فبينما يسدُّون على الناس باب الاهتداء به في الأخلاق التي تزكي النفس، والعقائد التي تقوِّي الإرادات، والعبادات التي تغذِّي الإيمان، والأحكام التي تحفظ الحقوق، وكل هذا داخل في عالم التكليف، وكله من عالم الشهادة، بينما يصدُّون عن الاهتداء في ذلك بالقرآن، ونراهم يتعلَّقون بالجوانب الغيبية منه، وهي التي استأثر الله بعلمها، فيخوضون في الروح والملائكة والجن وما بعد الموت، ويتوسَّعون في الحديث عن الجنة والنار، حتى ليكادون يضعون لهما خرائط مجسمة، وسبيل المؤمن القرآني العاقل في هذه الغيبيات أن يؤمن بها كما وردت، وأن يَكِل علم حقيقتها إلى الله، ليتفرَّغ لعالم الشهادة الذي هو عالم التكليف.

وما زلنا نرى من آيات حفظ الله لدينه أن يقوم في كل عصر داعٍ أو دعاة إلى القرآن، وإمام أو أئمة يُوجِّهون الأمَّة الإسلامية، ومفسِّر أو مفسِّرون يشرحون للأمَّة مُراد الله منه، ويتناولون تفسيره بالأدوات التي ذكرناها في أوَّل هذه الكلمة، ويجعلونه حجة على المذاهب والاصطلاحات، ومنازع الرأي والعقل، وحكماً بينها، وأصلاً ترجع إليه ولا يرجع إليها، ومن المبشرات بالخير، ورجوع دولة القرآن، أنَّ الدعوة إليه قد تجدَّدت في هذا الزمان على صورة لم يسبق لها مثيل، وأن أصوات الدعاة المصلحين قد تعالت بذلك، وتجاوبت وتلاقت على هدًى، تدعو إلى دراسته، واستخراج ذخائره، وإحياء دعوته إلى الفضيلة والخير والمحبة، وأخذ العقائد والعبادات في كل ما يشجر من خلاف في الدين والدنيا، وكان من آثار ذلك أن أصبح العلماء المستعدون للعمل، والعوام المتهيِّئون للعلم يردِّدون الجمل الآتية، وتجول في نفوسهم معانيها، وهي: (لماذا نهجر دستور القرآن، وهو من عند الله، ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولا يتبدَّل ولا يتغيَّر، ثم نلتجئ إلى دساتير الغرب وقوانينه وهي من أوضاع البشر القاصرة، يظهر في كل حين تناقضها ومنافاتها للمصلحة، فتُبدَّل وتُغيَّر، ولا تزال تُبدَّل وتُغيَّر، مع أنَّ واضعيها والموضوعة لهم من جنس واحد، وعلى طبيعة واحدة ومصلحة واحدة؟ لقد بُؤْنا بالصفقة الخاسرة مرتين.

بين عدالة الإسلام وجور الآخرين:

إن هذا الغليان في أفكار المسلمين وكثرة حديثهم عن القرآن، وإقبالهم على دعاته ومدارسه، وتحدِّي أساليبه في الوعظ وفي الكتابة، كل ذلك بشائر برجوع دولته، وإصلاح البشرية به من جديد، واتخاذه مرجعاً وملاذاً للأمم الأجنبية التي لم يستقرَّ لدساتيرها الوضعية قرار، فاضطربت حياتها، واستشرفت نفوسها إلى قانون سماوي يحفظ حقوقها، ويُحدِّد للفرد حقَّه، وللجماعة حقَّها.

ولعمري إن هذه المطالب كلَّها لفي القرآن، لو وجد القرآن من أهله من يُقيمه، ويبلِّغ دعوته، وينشر هدايته.

ثم ما هذه النغمات الناشزة عن هذا الإيقاع اللذيذ، إيقاع الدعوة إلى إقامة الدستور القرآني؟

ما هذه النغمات المجوجة المتردِّدة التي تُصوِّر أنَّ الدستور القرآني يتحيَّف حقوق الأقليات المساكنة للمسلمين أو يجحف بها؟...

إنها نغمات صادرة عن مصدرين:

أعداء القرآن ينصبون بها العواثير في طريق الدعوة إليه، وضعفاء الصلة بالقرآن الجاهلين

آثاره وتاريخه في إصلاح الكون كله، فليقل لنا الفريقان: متى ظلم القرآن غير المؤمنين به؟
ومتى أضاع لهم حقاً، أو استباح لهم مالاً، أو انتهك لهم عرضاً، أو هدم لهم معبداً، أو حملهم على مكروه في دينهم، أو أكرههم على تغيير عقيدة من عقائدهم، أو حملهم في أمور دنياهم ما لا يطيقون؟!...

بلى، إنه عاملهم في كل ذلك بما لم يطمع في معشاره الأقليات ولا الأكثريات من شعوب اليوم الواقعة تحت حكم الدول العالمة المتحضرة الخاطئة الكاذبة، التي تزعم لنفسها الفضائل كلها، ولا تتخلق بواحدة منها.

القرآن دستور الرحمة:

من أصول الإسلام أنه لا إكراه في الدين، وأين موضع هذا عند هذه الدولة الباغية؟

ومن أصول الإسلام الوفاء بالعهد في السلم والحرب، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الطاغية؟

ومن أصول الإسلام أن لا يكلف من دخل في ذمته بالدفاع الحربي، وأين هذا مما تفعله هذه الدول الظالمة التي تجند المحكومين بالإكراه؛ ليموتوا في سبيلها من دون جزاء، ولا شكر؟

ومن أصول الإسلام أن لا يقتل في الحرب إلا المقاتل، وأن لا يقتل الأعزل المعتزل، والشيخ الكبير والمرأة والطفل، والمنقطع للعبادة، وهذه الأصناف هي ثلثا الأمم المحاربة، فأين هذا مما ترتكبه الأمم المتمدنة في حروبها اليوم من الإبادة للكبير والصغير، والمرأة والرجل، والطفل والجنين، وما تتفنن فيه من وسائل الاستئصال؟

وكفى بواقعة (هيروشيما) اليابانية شاهداً لا يكذب.

إن الإسلام يعامل المخالفين بالرحمة؛ لأن قرآنه هو دستور الرحمة، ويضعهم في أربع مراتب، لكل مرتبة حكمها العادل: الذميُّ المقيم في وطن الإسلام له كل ما للمسلم، وليس عليه كل ما على المسلم، فهو محمي النفس والمال والعرض، حرٌّ في التصرفات المالية، آمن في الظعن والإقامة، وليس عليه ما على المسلم من أعباء القتال والدفاع.

والمستأمن آمن على حقوقه حتى يبلغ مأمنه، والمعاهد موفى له بعهده من غير ختر ولا غدر، والحربي يعامل بما رضيه لنفسه من غير أن يجاوزه إلى غيره من أهله أو بني ملّته، فإذا شذّ أمير مسلم أو قائد عن هذه القواعد الأساسية في الإسلام، وظلم طائفة من هذه الطوائف أو فرداً من أفرادها- فقد خرج عن حكم الإسلام، وإذا حكى التاريخ عن ملوك مسلمين ظلمة، فهؤلاء بطبيعة حالهم يظلمون المسلمين قبل أن يظلموا المخالفين، وليست أعمالهم حجة على القرآن، بل للقرآن الحجة عليهم، وأيسر أحكام الإسلام فيهم أن يُعزلوا، وأعلاها أن يُقتلوا.

وأين عدل القرآن من جوركم، أيها الجائرون في الحكم، المحاربون للحقيقة في الحرب والسلم، البانون لحياتهم في الظلام على الظلم؟

وأين تجدون الرحمة والعدالة إذا لم تجدوها في ظلال القرآن، أيتها الأقليات غير الوفية، المدفوعة من الخلف بالأيدي الخفية؟

أثمرت الدعوات الإصلاحية منذ أكثر من مائة سنة ثمرات زكية، وفتحت الأذهان لحقيقة، وهي أنَّ القرآن يُفهم، وأنَّه ميسَّر للفهم، فانفتحت للدارسين أبواب كانت مقفلة، وكثر جريانه على ألسنة الخطباء والمرشدين، منزَّلة آياته في منازلها من الأحداث الطارئة، متجاوبة مع العلم، مقسمة على المواضيع المتجددة، وكثر جريانه على أقلام الكتاب في المباحث الدينية والأخلاقية والاجتماعية والكونية، يُقيمون منه شواهد على كل حقيقة، وأدلاء على كل طريق، وأعلاماً هادية إلى كل غاية، فإذا هو يفسِّر نفسه بنفسه وتتسابق معانيه الواضحة إلى الأذهان، وأعان على ذلك هذه النهضة الأدبية التي لم تزل العربية أعمق منها غوراً، ولا أوسع منها دائرة، فأصبح بها القرآن قريباً إلى الأفهام، مؤثراً في العقول، وأصبحنا نسمع من تلامذتنا الذين ربيناهم على القرآن حفظاً وفهماً وعملاً، ورُضناهم على الغوص وراء معانيه، آراء في الاجتماع الإنساني، سندها القرآن، ما كانت تزيغها أفكار الشيوخ، وآراء في الدستور القرآني، وتطبيقه على زماننا ومكاننا ومصالحنا، ما كانت تسيغها عقول الأجيال الماضية.

لعمر أبيك إنَّه القرآن حين تتجلَّى عجائبه على الفطر السليمة، والعقول الصافية.

فهيا بنا إلى القرآن.

أسباب النصر والنجاة

إعداد/ عبد الرزاق السيد عيد

الحمد لله حمدًا طيبًا مباركًا كافيًا، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعدُ:

لعلك تذكر أيها القارئ الكريم أننا وقفنا معًا في اللقاء السابق على بيان مختصر لاعتقاد المسلمين من أهل السنة والجماعة في نزول عيسى عليه السلام، مع بيان الفرقان الذي جاء به القرآن بين الحق والباطل الذي عليه أهل الإسلام الوحيدون أهل التوحيد أهل السنة والباطل عليه أهل الكتاب في اعتقادهم في عيسى عليه السلام، وكيف حرَّف اليهود حقائق الدين وحرَّفوا التوراة وحرفوا الإنجيل وأقاموا اعتقادهم على أباطل وأوهام، ورؤى وأحلام وتأملات شتى ليس لها من الصواب أدنى نصيب.

ولعلك تعجب وتتساءل: كيف حدث هذا التمكين لأهل الباطل بهذه الصورة التي نراها في واقعنا اليوم؟ والإجابة سهلة وبسيطة، فهذا التمكين ليس لأنهم أهل حق، ولكن لأن أهل الحق تقاعسوا عنه، وهذه من سنن التدافع بين الأمم، وقديمًا سلَّط الله عباد الأوثان على اليهود؛ لأنهم أفسدوا في الأرض كما نطالع ذلك واضحًا في كتاب الله في صدر سورة الإسراء أو سورة بني إسرائيل هما اسمان لسُورةٍ واحدة تحدثت في أول آية منها عن الإسراء، ثم تحدثت في سبع آيات متتاليات عن فساد بني إسرائيل، وقد أوضحت هذه السورة الكريمة في مطلعها الحقائق التالية:

١- أن الله سبحانه منَّ على نبي إسرائيل وأخرجهم من تحت قهر فرعون مصر وأسكنهم الأرض المقدسة التي كتب لهم.

٢- ولكنهم لم يحافظوا على الدين الذي أعطاهم الله في التوراة ولا على الدولة التي مكَّنهم منها؛ لأن الدولة التي تختل أمورها تُحتل أرضها وتفقد حريتها.

إن الفساد والاستعلاء لا يُتصوران في حكم يقوم على الوحي وينتسب إلى السماء، ولذلك فإن عقوبة أهله تكون شديدة، فسلط الله عليهم بختنصر الأشوري الذي أباد دولتهم، وهدم هيكلهم، وحملهم أسرى إلى بابل في أرض العراق. (هذه المرة الأولى).

٣- ثم قامت الدولة الثانية بعد أن أعادهم (قورش) الملك الفارسي إلى بيت المقدس وهيَّأ لهم أسباب إعادة دولتهم وهيكلهم مرة أخرى، لكن اليهود أدمنوا المرض واستمرءوا العلل فعادوا إلى ظلمهم وعدوانهم.

وهذه المرة الثانية بلغ إفسادهم إلى حدٍّ كبير فقتلوا أنبياء الله، قتلوا يحيى بن زكريا، عليهما السلام، وقتلوا كذلك زكريا عليه السلام، وحاولوا قتل عيسى عليه السلام، لكن الله سبحانه ألقى شبه عيسى على شخص آخر فأخذوه وقتلوه ورفع الله عيسى إليه

ونجاه منهم وما زالوا يعتقدون حتى اليوم أنهم قتلوا عيسى ابن مريم رسول الله.

وهذه الإفسادة الثانية المقصودة في قوله تعالى: «لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ» (الإسراء:٤). فلما أفسدوا ذلك الإفساد سلط الله عليهم الرومان في النصف الثاني من القرن الأول للميلاد فلم يتركوا لهم أثرًا ولا عينًا، وأبادوا خضراءهم وهدموا هيكلهم وقتلوا من قتلوا، وشردوا من بقي منهم في شتى بقاع الأرض، وانتهت دولتهم للأبد، وقال الله لهم: «وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا» (الإسراء:٨)، أي: وإن عدتم للإفساد عدنا للانتقام منكم في الدنيا وفي الآخرة المصير المحتوم لأهل الكفر وهو جهنم- نعوذ بالله من ذلك-.

٤- ولما عاد بنو إسرائيل للإفساد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ونقضوا عهودهم معه وتآمروا عليه وعلى المسلمين ومالئوا المشركين ضد المسلمين وأثاروا الفتن في المدينة وما حولها بل وحاولوا قتل النبي صلى الله عليه وسلم مرات، لكن الله تعالى عصم نبيه منهم ومن غيرهم، عندئذ سلط الله عليهم نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام في بني قينقاع وبني النضير وبني قريظة، وتم استبعادهم عن المدينة إلى خيبر ثم أجلاهم عمر رضي الله عنه في زمن خلافته إلى الشام.

٥- ثم عادوا للإفساد في العصر الحديث فسلط الله عليهم (هتلر)، فوضعهم في براميل الزيت المغلي، وكانوا منبوذين في أوربا كلها.

٦- ثم شاء الله كونًا أن يقلد المسلمون اليهود ويقعوا فيما نهاهم عنه نبيهم ويفسدوا ما وصى الله بأهوائهم، فكانت العقوبة هذه المرة أن يقيم بنو إسرائيل دولتهم على أنقاض دولة المسلمين الذين تخلوا عن القرآن عملاً وتطبيقًا.

٧- ولا عجب في ذلك، فقديمًا سلط الله على بني إسرائيل عُبَّاد الأوثان من الأشوريين والرومان لما تخلوا عن وحي السماء، واليوم يسلط الله عبدة الطاغوت وأحفاد القردة والخنازير على المسلمين لما انحرفوا عن كتاب ربهم، وسنن الله لا تحابي أحدًا، «إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا» (الإسراء:٧)، «مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا» (الإسراء:١٥)، «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» (الجاثية:١٥).

٨- ولذلك لو تأملت سورة الإسراء تجد أن الله تعالى تحدث في الآية الأولى عن حادثة الإسراء، ثم في سبع آيات متتاليات تحدث عن فساد بني إسرائيل، ثم في الآية التاسعة مباشرة قال الله عز وجل: «إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا» (الإسراء:٩)، ونفهم من ذلك أخي الكريم أن العودة الصادقة إلى كتاب الله هي طريق النصر على الأعداء، وهي طريق العزة والخروج من الذلة والمهانة التي وضع المسلمون أنفسهم فيها بتخليهم عن الاحتكام إلى كتاب الله في كل شئونهم صغيرها وكبيرها، وهذا هو خطاب القرآن للمسلمين واضح وظاهر لمن أراد الحق سبيلاً له.

٩- لقد حدد القرآن بصورة واضحة أسباب النصر وأسباب الرحمة والمغفرة والنجاة من النار، وباختصار أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وهذا واضح في كتاب الله لا تخطئه عين القارئ ولا قلبه، ونحن نشير إلى أمثلة مختصرة خشية الإطالة، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» (محمد:٧)، أي: إن تنصروا دين الله أيها المؤمنون ينصركم الله؛ لأن النصر من عنده سبحانه.

وقال في أسباب التمكين والنصر: «الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (الحج:٤١).

وقال في أسباب الأمن: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ» (الأنعام:٨٢)، فالذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أي بشرك صغيرًا كان أو كبيرًا، أي أخلصوا إيمانهم لله وخلصوه من شوائب الشرك هؤلاء هم أهل الأمن والأمان والهداية والسلام.

وفي أسباب البركة في الرزق، قال الله تعالى: «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ

ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ» (الأعراف:٩٦).

ومن أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: «وَنَجَّيۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ» (فصلت:١٨)، وقال تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ» (فصلت:٣٠).

وبيّن سبحانه كذلك أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، فقال سبحانه: «مَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ وَلَنَجۡزِيَنَّهُمۡ أَجۡرَهُم بِأَحۡسَنِ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ» (النحل:٩٧)، الحياة الطيبة في الدنيا والجزء الحسن في الآخرة.

وهذا كثير يطول بيانه في كتاب الله سبحانه، ففيه بيان الداء والدواء، قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ» (يونس:٥٧)، وقال تعالى: «قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ» (يونس:١٠٨).

وهنا القرآن أخرج الله به أمة هي خير أمة أُخرجت للناس، وهذه الأمة عاشت على وجه الأرض وليس في كوكب آخر وضربت مثلاً فريدًا للأمم في الحق والعدل والسلام في خير القرون، وقد بين لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم طريق النجاة باختصار في حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه والذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وغيرهم، وهو حسن صحيح، قال صلى الله عليه وسلم: «وانه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة». فحين تختلف الأمور وتظهر الفتن فطريق النجاة هو العودة إلى نور الوحي والتأسي برسول الله صلى الله عليه وسلم وصحبه الكرام.

١٠- وقد أوضح النبيُّ صلى الله عليه وسلم حالة الأمة إن هي تخلت عن كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم، فقال: «يُوشِكُ الأَمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ. فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: حُبُّ الدُّنْيَا وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» (رواه أبو داود ٤٢٩٩ وصححه الألباني)

إن عباد الله الصالحين منهم «فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا» (الأحزاب:٢٣)، وهم الذين قال الله فيهم: «رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ» (النور:٣٧)، وهم كذلك الموصوفون في قوله تعالى: «إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝٥٨ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝٥٩ وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ ۝٦٠ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَهُمۡ لَهَا سَٰبِقُونَ» (المؤمنون: ٥٧- ٦١)، فهم الموصوفون بهذه الأوصاف والمسارعون في الخيرات ومع ذلك يخشون ألا تقبل منهم فهم أحسنوا العمل وأساءوا الظن بأنفسهم.

هم السابقون الأولون المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم ووعدهم بالجنة، ووصفهم بقوله تعالى: «ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ» (التوبة:١١٢).

من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم من أنفق ماله كله في سبيل الله مثل أبي بكر رضي الله عنه، ومنهم من أنفق نصف ماله في سبيل الله مثل عمر رضي الله عنه، ومنهم من أنفق بغير حساب مثل عثمان، وعبد الرحمن بن عوف، وأبو طلحة الأنصاري، رضي الله عنهم، ومنهم الفقراء الذين لم يجدوا ما ينفقون

فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع لأنهم لم يتمكنوا من الغزو في سبيل الله ولم يجد الرسول صلى الله عليه وسلم ما يحملهم عليه فمكثوا بالمدينة وكان لهم أجر المجاهدين بنياتهم الصالحة، والحديث عن الصحابة وتطبيقهم للقرآن يطول، ولذلك نصرهم الله وفتح الله بهم البلاد والعباد ونشروا دين الله شرقًا وغربًا وشمالاً وجنوبًا في أقل من قرن من الزمان، وعلموا أن هذه مهمتهم يكملونها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يركنوا إلى الدعة والراحة وحب الدنيا وكراهية الموت.

الفرق بيننا اليوم وبين الصحابة:

ذكر الإمام القرطبي في تفسيره في الجزء الأول كما ذكره الإمام الطبري في تفسيره، ذكر أبو عمرو الداني في كتاب «البيان» له، بإسناده عن عثمان وابن مسعود وأبي أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعًا». وذكر مثل هذا عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «كنا إذا تعلمنا عشر آيات من القرآن لم نتعلم العشر التي بعدها حتى نعرف حلالها وحرامها وأمرها ونهيها». ونقل كذلك الإمام القرطبي قول ابن مسعود رضي الله عنه: «إنه صُعب علينا حفظ ألفاظ القرآن وسهل علينا العمل به وإن من بعدنا يسهل عليهم حفظ القرآن ويصعب عليهم العمل به».

مهمة القرآن الخالدة:

القرآن الذي ساد به المسلمون الأوائل هو نفسه الذي بين أيدينا اليوم، قد حفظه الله تعالى وتولى حفظه إلى يوم القيامة، وهو قادر جل وعلا على تكرار نصر الأمة وإعزازها إذا وجد من يحيي روح القرآن في الأمة فكرًا وحضارة وطهارة وهي صفات تنقص كثيرًا من مسلمي اليوم!!

فمنهم من يعرف الحق ولكن يقدم عليه مصلحته وهواه، ومنهم من يتمسك بالشعائر الظاهرة لكن يستعبده الشح المطاع والأثرة الجامحة، والله أعلم بالسرائر، ولا يوجد على الأرض دين صحيح يجب اتباعه إلا الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، ولا كتاب صحيح النسبة إلى الله إلا القرآن، ومن أهل الكتاب القدامى والجدد من يبيع دينه بعرض من الدنيا قليل، ومنهم من قتل الأنبياء وعذب المصلحين وطاردهم حيث ظهروا؛ ومن المنتسبين للإسلام وللأسف من فعل ذلك واتبع أهل الكتاب شبرًا بشر وذراعًا بذراع.

ولما كانت حاجة البشرية اليوم- وأقول البشرية وأنا أعني ما أقول- فالبشرية كلها في أمس الحاجة إلى رحمة الإسلام وإلى عدالة الإسلام، وإلى أخلاق الإسلام، وإلى عبادة الإسلام، ومن قبل إلى عقيدة الإسلام السمحة العالم كل العالم في أمس الحاجة اليوم إلى الإسلام عقيدة وشريعة وأخلاقًا ولأنه لا نبي بعد محمد صلى الله عليه وسلم ولا كتاب بعد القرآن فليس هناك من سبيل إلا عودة صادقة إلى كتاب الله وإلى سنة رسول الله لتخليص البشرية من عبادة الهوى وعبادة الشيطان وعبادة الدنيا وإعادتهم من جديد إلى عبادة الله الواحد القهار، وإلى قيم القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، وقد اختار الله هذه الأمة واصطفاها للقيام بهذه المهمة، وقال سبحانه: «كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ» (آل عمران: ١١٠).

وقال سبحانه: «وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (آل عمران:١٠٤)، وقال سبحانه: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا» (البقرة:١٤٣)، ولكي يتحقق ذلك واقعًا لا بد من تجديد الإسلام في قلوب المسلمين وعلى جوارحهم وفي حياتهم، «قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ» (الأنعام: ١٦٢-١٦٣).

لا بد من دخول في الإسلام بشموله حتى تنجو من الفرقة والشتات والأنانية وعبادة الدنيا والهوى واتباع الشيطان، قال الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ» (البقرة:٢٠٨)، وأسأله عز وجل أن يرد الأمة إلى دينه ردًا جميلاً.

وصلى اللهم على سيدنا محمد.


الآن
المجلد الجديد لمجلة التوحيد
١٤٣٦هـ
سارع باقتناء
نسختك من
المجلد الجديد
موسوعة علمية
لاتخلو منها مكتبة
ويحتاج اليها
كل بيت
23936517


بشرى سارة
معرض مجلدات مجلة التوحيد
مفاجأة كبرى
موسوعة مجلة التوحيد (كرتونة المجلدات ٤٤ سنة كاملة بـ٥٠٠ جنيهاً بدلاً من ٨٥٠ جنيهاً)
مفاجأة:
اشتراك سنة مجاناً بمجلة التوحيد لمن يشتري الموسوعة.
الكمية محدودة والعرض سارٍ حتى نفاد الكمية.
مفاجأة:
يمكنك الدفع عند الاستلام عن طريق مكتب الشحن.
ويمكنك الشراء وإرسال الكرتونة على عنوانك عن طريق مكتب الشحن.
التوحيد
أوسع المجلات الإسلامية انتشاراً في العالم
٤٤ مجلداً
٤٤ عاماً
المعرض مفتوح يوميًا بالدور السابع بالمجلة
للاستفسار يرجى الاتصال بقسم الاشتراكات بمجلة التوحيد: 23936517
صدر حديثاً المجلد الجديد لعام ١٤٣٦ هـ